همسات صاخبة

همسات صاخبة: خواطر
الكاتبة: ندى عصام هيكل
إخراج فني: الباشا عبدالباسط
رقم الإيداع: 2718 / 2020
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 844 - 101 - 7

دار الزيات للنشر والتوزيع :**Facebook Page**
E- mail: bentelzayat1@gmail.com
Website: www.bentelzayat.tk

مجلس الإدارة / د. شاهندة الزيات
المدير العام/ أ. محمود محروس إبراهيم
01066736765 - 01011122429

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار الزيات المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم / 49351

هَمَسَاتٌ صَاخِبَةٌ

-خواطر-

الكَاتِبَة

نَدَى عِصَامْ هُيكَلْ

دار الإيمان للنشر والتوزيع
صدق حلمك يتحقق

إهداء

إلى الذين آمنوا بي عندما غرست بذور الموهبة في أرض الواقع فرووها بمدح متلحف بدعم ونقد عذب،

ها هي الثمرة بين أيديكم.

❋ ❋ ❋

المقدمة

الحروف المسرودة في الصفحات التالية ما هي إلا مواقف وعبرات وعبرات وأوجاع سردها القلم ليتعري كل شخص لامس قلبه حرف أو كلمة أو جملة أو عسى أن تكون خاطرة.

أو قد لا يروق لبالك تلك الكلمات لكن عساها أن تصل إلى أحدهم..

❄ ❄ ❄

لنبدأ الرحلة نحو المشاعر الهوجاء والمضطربة بين حب ووعظ، وندم وخذلان، وفرح ويأس، ولربما موت من نوع آخر...

بداية

خلقنا لنغرس الأمل في نفوس بعضنا البعض، أن نكون سندًا يعين على الحياة، لنضيء شموع دروب كل من يعاني بالأمل، نريد أن نثبت لأنفسنا وللعالم أنه

على هذه الأرض ما يستحق النجاح

❋ ❋ ❋

الأم مهما ضن عليها الابن ستجود عليه حبًّا وأمنًا وحياة، ولكن ماذا إن وصل الأمر إلى عقوق، هل ستجود عليه بالعفو؟...

- ماذا لو عاد معتذرًا؟

ستدثر قلبه وتبرد دمعه، فالأم إن أوى فلذة كبدها بروح متعبة لن ترده، لأن دعاءها له هو من جره من قلبه وأعاده إليها، تنسكب الدماء من عينه ندمًا على عقوقه، وأيضًا يعض أنامله مخافة ألا تقبل عذره.

فالأم يا هذا وذا كما قيل عنها مدرسة، تقبل بك بضعفك وقوتك، انتصارك وهزيمتك، هي من تمنحك قوتها في ضعفك وتجعلك سدًّا لها في قوتك، هي من تكون وراءك تحمي ظهرك لكيلا يختلي بك أعداؤك فتهديك النصر، وهي من تمطر عليك حنانًا ينسيك مرارة الهزيمة، فلا تجعل غرور الدنيا يمتطيك فتصبح كالحمار تحمل وزر العقوق، فتلتهمك نيران الدنيا والآخرة.

* * *

أصبحنا وأمسينا في زمن الخطأ مباح والصواب محرم، حيث المحب الذي يريد أن يصون الحب برضا الله إلى أن يتعالى أذان تحرره، أصبح ضعفًا وأمسى تخلفًا ورجعية...

1-كم منادٍ علا صوته ألا تبيدوا الحب بالكبرياء والفراق؟

ظالمون هؤلاء من اعتبروا الحب شات عندما يكون الناس نيام، وخروج في أماكن لا يراهم فيها العيان، وحده الخوف والذنوب والندم سيرثونه وسيبيد كل هؤلاء الحب ويئدونه.

ومظلوم هؤلاء من ارتفعت قضاياهم ظلمًا بأن قلوبهم لا تعرف الحب؛ لأنهم أولوا ظهورهم وغادرت قلوبهم ساحته، ألا يعلمون أن قلوبهم كانت تتمنى أن تظفر بالحلال لا ذاك الحب المزعوم في حاضرنا دون رابط شرعي يتوجه وينيره؟

قد أخطأ المنادون في مضمون ندائهم فالأجدر أن يكون النداء:

- ألا تبيدوا بكارة الحب بما يكره الله، وأن تأووا إلى ما يصونه، ألا وهو النكاح، أو فراق يرتضيه الله إلى أن يستطيع كلا الطرفين أن يكونا ذوي مسؤولية.

2- الحب أن تقرع بابًا تلج منه الخيرات، لا بابًا تلج منه الذنوب، فشتان ما بين باب وباب، كلاهما ذوو حرف واحد، ولكن عاقبتهما جنة أو نار، فلا تجعلن الحب يفقد قدسيته، فبأي حق يحتله دنس لسانكم لبذاءة قلوبكم؟! الله ثم الله ثم الله ثم قلب ظمأ حبًّا فارتوى بالحلال.

❋ ❋ ❋

* إليك الآن تلك الخواطر المبعثرة كبعثرة المشاعر فلا نعرف إن كان القلب يحب أم يتألم أم يتأمل أم ماذا بالضبط! *

أليس كلما جدبت الأرض أحياها الماء؟

هكذا أنا وأنت

إن جدبت الفرحة أحياها بلسم حديثك.

وإن حل اليأس بغرس جذوره في الوريد أهطل فاهك غيثًا ينبت روحا جديدة يتلحفها نور.

وإن جارت الدنيا وضنت عليا بخيراتها وجودك جود يجوب في الأرجاء قائلًا: سلام على ماضٍ والفاتحة على ذكريات وفاتها المنية، والأذان والإقامة على ولادة قلب وعقل وحب وراحة وخير.

* * *

- وإذا العلاقات سئلت بأي سم قتلت؟

- ليس سمًّا واحدًا قط؛ بل هناك من السموم ما لا حصر لها؛ فهناك الشك يتسرب إلى النفس فيحفر لحدًا يفغر فاه ليملأ جوفه بريقها من راحة وحب وثقة وإيثار، ليجعلها كهفًا مهجورًا أو قرية كل جدارنها انقضت وأصبح الخوف والوحدة أكسجينها والاطمئنان والألفة ثاني أكسيدها.

وهناك الإهمال أشبه بأسنان تقرض حبال الوصل شيئًا فشيئًا دون الشعور بعظمة الكارثة، إلى أن ينقطع جذريًّا ويصبح كل واحد منهما عن الآخر غريبًا بلا سبب أو مبرر سوى إهمال تغاضاه كل طرف عن الآخر حجة الانشغال بأمور الدنيا.

وهناك الاحتكار فيصبح أحدهما معطاء بالواجب، والآخر آخذًا بالواجب نفسه، ونسيا كلاهما أن العطاء والأخذ حق متبادل بينهما ليس فرضًا على أحدهما وحرامًا على الآخر.

فهذا السم أشبه بأجل يلتهم ضوء الروح ويتركها قيد العتمة التي تتوغل فيها بشراهة أشبه بشراهة يأجوج ومأجوج عندما ينقضا على الأخضر واليابس وكل ما هو حي.

وهناك من السموم التي لا كلام يصفها، ولا حديث ينتهي عن الإلمام بها، فإن كان للجسد حديث بعد فراق الروح لأبصر العقل كل ما هو في الغيب وكل ما عجزت النفس عن وصفه ومعرفته والإحساس به، لذلك العالم وحده هو الله، فما خفي كان أعظم!

* * *

– عيناك أسرها حنين حاؤه حزن، نونه ندم، ياؤه يمين، وآخره نون غرضها نداء بأن ذاك الأسر الذي احتل عينيك كالقدس التي احتلها اليهود، إن طال الاحتلال وهجرت الحرية أراضيها فإن النداء سيرفع راياته بأن تأدية اليمين واجبة، والفرحة سترفرف أعلى الراية، وأن مواجع الحنين ستندثر وسيتم إخلاء سبيل محاسنه، فلا احتلال أرض ولا عين سيدوم، فالحزن سيبدده النور.

* * *

– لم نكن نور أعينهم ولا الهواء الذي يتنفسونه كما يدعون؛ بل كنا طريقًا تسير أقدامهم عليه دهسًا على قلوبنا وعقولنا لينالوا مرادهم.

إن قدمنا الولاء أغدقوا علينا حبًّا زائفًا، وإن تمردنا أصبحنا نحن الخائنون والزائفون وهم الصادقون؛ لأن رفضنا دنس مرادهم المصون.

كانوا هم العتمة التي ظنناها نورًا، وكانوا هم السم الذي ظنناه دواء، جعلوا كلامهم يسترق اللب ويضع غشاء على القلب ليستمر مكرهم، ولكن أفعالهم كانت القاضية والفاضحة، فانظر كيف كانت عاقبة

مكرهم "سرابًا هكذا كنتم، وكذبًا عندنا اتصفتم، وسبيلًا لنا قطعتم، وحبًّا لكم خسرتم، ونسيانًا لكم جلبتم، فمن أنتم؟!"

* * *

- استباحوا الحرام حتى أتى يوم واعتقدوا أنه حلال.

قال تعالى "ولا تتبعوا خطوات الشيطان".

الذنب ما إن تلج بابه حتى تتوالى الذنوب وراء ذنوب، فلا تستهن بذاك الباب فهو نار أقحمت نفسك فيها فأخمدها بالتوبة.

* * *

- الحنين إن كان لبعيد سيؤوب، سأتجرع الصبر لأن اللقاء آت، لكن ما بالك إن كان الحنين لمن احتضنهم الموت وذهب بأجسادهم بعيدا عن أعيننا؟!

ذاك الحنين أشبه برضيع رحلت أمه عن الحياة أثناء ولادته فتركته وحيدا، يتيم القلب، متهم الذات وجالدها ظنا أنه السبب لذلك لن يهنأ بالحياة حتى وإن كان الجميع بجواره.

هكذا أصبحت أنا بدونك، اقتحمتِ حياتي عنوة وبدد نورك تلك العتمة التي أصبح فؤادي أسيرها، وبسمتك أزالت تجاعيد الحزن من وجهي، ومظلتك لم تحمِني من المطر؛ بل كانت كالسحاب أمطرت حبًّا وحياة، فأصبحت وليد تلك اللحظة، وأول من رأيت هو أنت فأصبحت طفلًا وأنت لي أمًّا، ولكن لم يدم الحال، فقد ابيض القلب قبل العين في ذاك اليوم، عندما جاءت سيارة لم تكن كما يتمناها الجميع، لم تكن تلك السيارة التي أنقذت يوسف من غيابات الجب ووهبته حياة جديدة، لم أكن بيوسف لأهنأ بالحياة عندما جاءت تلك السيارة وهبتك الأجل.

كنت بك وبدونك، انتهيت ولم يتبقَّ سوى رفات ذكريات محفورة في الفؤاد، ومرآتها الحنين، وأصبحت جلادًا للذات، فأنا سبب رحيلك، لو لم أتأخر عليك لم نكن لنتشاجر وتفرين هربًا لأنك غاضبة، وتأبين أن تتساقط عبراتك أمامي، ليتك لم تنقذيني ولم تدخلي حياتي، ليتك لم تقتربي مني، فأنا لم أكن عوضك كما كنت تقولين وتروين، بل كنت

سكراتك، وجعلت الموت يدنو منك، وها أنت لن تؤوبي، فيا ليت عمري تأخذينه وأرحل أنا عوضًا عنك.

* * *

سَل الوَطَن هَل سَلَا تِلْك الْأَرْوَاح الَّتِي وَافتهَا الْمَنِيَّة فِدَاء لحمايته وَأملًا بِسَلَام يَسُود وَقَائِد عَادِل يَقُود الْأُمَّة؟!

- أَي وَطَن هَذَا الَّذِي سأطرح عَلَيْهِ سُؤَالًا وَهُو عَاقِر لَن يُنْجِب الْجَوَاب؟!

أَي وَطَن هَذَا؟!

أذَاك الوَطَن الَّذِي التقطته الْحَرْب كَالْحُوت وَيُونُس وسَاد ظَلَام الظُّلْمَ على الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَالشَّيْخ وَالْفَقِير؟! أَيْن ذَلِكَ الذَّكَرُ الملتحف بِالْحُرِّيَّة أَلِن يَشُقَّ بِسَيْفِه ذَاك الظَّلَام؟!

أَي وَطَن هَذَا؟!

والنِّسَاء أَعْرَاضُهن تُغْتَصَب، وَالشَّبَاب أَحْلَامَهُم تُقْتَل، وَالْأَطْفَال طفولتهم تُدْفَن، وَالْجَمِيع دِمَاؤُهُم تسال.

أَي وَطَن هَذَا الَّذِي مَاؤه هو دِمَاء أَبْنَائِه تَسِيل فِي كُلِّ شَارِعٍ كفيضان نُوح الَّذِي قَضَى على الأَخْضَرِ وَاليَابِسِ؟!

أَلَيْس هُنَاك مرْسى نَعْبُر إِلَيْه لإنجاد ذَاك الوَطَن؟!

– مَا لك تَسُب الوَطَن وَكَأَنَّه جَان وَلَيْس الْجُنَاة مِنْ أَهْلِهِ؟!

– لَمْ أَقْصِدْ السَّبَّ وَلَكِن الْفُؤَاد اِنْفَطَر على تِلْكَ الْخُرُوب والصراعات بَيْنَنَا، الَّتِي ستلفظ كَثِيرًا مِنْ الْأَرْوَاحِ إلى عَالَمِ الْبَرْزَخ، أَلَيْسَت الدُّمُوع ستذرف عَلَيْهِم؟!

– لَنَا اللهَّ ولوطننا، نَسْأَلُ الله لَهُ النَّجَاة فَلَيْسَ هَذَا الْجَمِيلُ الَّذِي نَرُدُّه إِلَيْهِ بَعْدَ كَنَفِه الَّذِي آوَانَا إِلَيْهِ مِنْ حَرْبٍ دامسة، وخيراته الَّتِي أَشْبَعَت الْبُطُون وَأَذَانُه الَّذِي كَانَ يَرُدُّ لِلرُّوح نُورَهَا، أَلَيْسَ هُوَ الْمَنَارَة الَّتِي دَفَعْت عَنَّا ظَلَام الْجَهْل ومَنَحَت الْعُقُول الْفَهْم والنضج؟ أَلَم يَحِن رَدُّ الْجَمِيل وَأن نطهره مِن فسدة الْقَوْمِ الَّذِينَ اسْتَرَق الجَشِع ومَتَاعِ الدُّنْيَا نُفُوسِهِم الزَّكِيَّة وَقُلُوبهم الْأَبِيَّة وَجعَلَهُم طغاة اسْتبَاحُوا دِمَاء إِخْوَانِهِم؟ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ مُلْك زَائل!

عَافَانَا اللهُ وَحَمَانَا مِنْ النَّفْسِ إِنْ استوغلها السُّوء وَتَرَبَّع فِيهَا.

* * *

- ذاك المتواري خلف الأضلع، توالت عليه نوبات صادمة جعلت الشعور تصعد روحه إلى البارئ.

وأصبح مقبرة يدفن بها كل شعور جميل أو قبيح، فهو عنده سواء، فقد واراهم الكفن عن ماهيتهم.

* * *

- عقار أَنْت وغيابك خَبِيث، تَكاثَر بخلايا الرُّوح فَأَصْبَحَت صَاحِبة مَرَض فَهَلَّا داويتني بِقُدُومِك؟

- قف نبكي سويًّا فتبًّا لسيل من دموع نحتجزه عن كلينا.

أين أنت الآن؟! أينما تكن سأكون، فمنذ رحيلك وأنا لم أعد أنا.

القهقة التي كانت لا تصدر إلا في حضرتك من فرط السعادة، وتدفن في صميم القلب وتترسم على هيئة ابتسامة على الثغر مع الآخرين قد وأدها رحيلك.

أين أنت؟! آنت عند بائعة الورد التي اعتدنا الذهاب هناك معًا لنستمع إلى حكايات العشاق التي كانت تقصها علينا؟! أم هناك عند الشط الذي اتخذناه مقبرة لدفن أحزاننا وموميضًا نسترد منه الراحة ووقار الحب؟!

أنا لم أعد تلك الطفلة التي ترضيها بكلمة من أربع أحرف ترد الحياة إلى الفؤاد، ولم أعد تلك الزهرة المزينة بالندى ساعة الضحى، لم أعد كل شيء لك، فأنا أصبحت اللاشيء بدونك، سأتجرع طعنات الذكريات التي تزيد النزيف وتقتل فتات الروح المتبقي، فهي كضمادة بالنسبة لصغيرتك.

تبًّا لذلك الرحيل الذي قذف بكلينا إلى التهلكة، ووأد الحياة التي كنت أحياها معك، ولكنني سأظل هنا مهما تقاذفتني الدروب، سأظل أومن بحروف قرأناها سويًّا "إما معًا، وإما لا شيء".

* * *

سنوات قضيناها يدًا مع يد، قلبًا يشد من أزر الآخر، روحًا تضاء من النقاء، فكانت ترسل الدعوة للغير قبل الذات إلى مجيب الدعوات.

لكن هيهات! كان الغير قلبه مشحون بالضغينة والحقد، ولكنه كان متواريًا خلف رداء الحب، الحب ذاك الأرض المقدسة التي تتندس بالقلوب الفاجرة، القلوب القاسية والأرواح المفعمة بالعتمة.

قدمنا لهم دماءنا وأرواحنا وقلوبنا ويدنا لاستكمال الضرب وتحقيق الأماني، ولكن بتروا أيدينا وطعنوا قلوبنا واستأصلوا النور من أرواحنا،

وقذفونا في الجب، وأغدقوا علينا الخذلان، ظنناهم غير الذين خذلونا سابقًا، ولكنني لم أكن أعلم أنهم متشابهون يقذفوننا ببئر معطلة ويقتلون قافية العزيز.

* * *

-إلَيْك قَلْبِي بَيْن الْحُرُوف يَضُم الْأَمَل وَيُسْكِن الْأَلَم وَيَفْتَح الْيَد لتتدثر بدفء يَدَيك، وَيَرْفَع عَنْك الْخَطَأ فَأَرَاك صَاحِب الرأي الصَّائِب دَائِمًا، وَيكْسِر الفجوة الَّتِي تَخْلُقهَا الْمَسَافَات، وَيَحْذِف كُلَّ الْمُعْضِلَات وَالْخِلَافَات، بَيِّنًا لَمْ يَجْعَلَك مُسْتَتِر الْوُجُود فِيهِ، حتى وَإِن حادثك وَأَنْت الْمُخَاطَب لَا يَحْذِف الضَّمِير؛ بَل يَخُطُّه تَأْكِيدًا على أَنَّك دَائِم الْحُضُورِ فِيهِ، حتى وَإِنْ كُنْت غَائِب الْجَسَد، رُوحَك لَم وَلَن يستأصلها عَن روحي، فَقَد امتزجا مَعًا، وطيفك لَم وَلَن يَغْفَل عَنْهُ، فَهُوَ هَالَة تُحِيط جسدي تحميه مِن فجعات الدَّهْر، إلَيْك وَالدَّهْر وَمَا بَيْنَهُمَا لَن يُقْذَفَا فِي ثُقْبِ الْقَلْب الْأَسْوَد إلَّا إذَا احْتَضَرْتُ أَو اِحْتُضِر الْحُب بَيْنَنَا، وَإِنْ كَانَ الثَّانِي سَيَحْدُث فحتمًا سَيَكُون بِحُدُوث الْأَوَّل، فَأَنْت الْهَوَى وَالْهَوَاء وَالمَاء الَّذِي يَرْوِي ظَمَأ الْفُؤَادِ مِنْ الْعِشْق.

* * *

- كم من ثغر تزينه البسمة والقلب آكله الحزن؟

الكثير والكثير، ولكن الكثير الأول حسن ظن، والكثير الآخر كبرياء خشية الضعف أن ينقشع.

تفاءل، ابتهج، حطم أغلال الحزن، افتح شبابيك الأمل واجعل اليأس يفر هربًا كاللص من نورها المنبثق، ارسم البسمة أكثر فأكثر، لا تجعل الكبرياء ترياقًا فالضرر مختبأ به، والشفاء المرجو منه أضراره تغنينا عنه، ارسم البسمة حسن ظن، الحسن نور يبدد الحزن وكأنه دواء لا أعراض جانبية له، حسن الظن شفاء للأرواح وقاتل القلق والخوف.

لا يضرنكم ضعف بان واصطادته عيون الشامتين، فالخير كان ساكنه، فهو كشف القلوب على حقيقتها، ضعفك باللجوء إلى الله سيندثر، والحزن القابع سيضمحل.

البسمة سلاح ينجيك من عدو مضمور داخلك ستقتلعه يومًا، فقط كن متفائلًا بالله خيرًا.

* * *

-الْقَلْب مُتَيَّمٌ بِك بِحَذْف القَاف، لوَأد المُسَافَات بيننا وإنجاب آخَر مُتَيَّم وغارق فِي بِحَار الْفِكْر، أَيْنَ أَنْتَ؟ وَمَاذَا تَفْعَل؟! آنْت مِثْلَمَا رسمتك

فرشَاة الأَمَانِي على لَوْحَة الدُّعَاء؟! هَلْ حَقًّا لَك وُجُود فِي الْحَيَاةِ وسَكَنَتُ فُؤَادَك؟! أَم الأطْلال خُلِقَت لي فقط لِرِثَاء حُبٍّ مَات قَبْلَ المِيلاَدِ؟!

* * *

- مُرّ التَّعَلُّمِ سَاعَةً وَحَلاَوَة النَّجَاح أَثَر خَالِد، تَحْمَّل الْأُولَى تَنَل الثَّانِيَةَ وَإِلَّا سيأكل النَّدَم عَقْلَك، وَلَن تَهنَأ بِحَاضِر وَلَا مُسْتَقْبَل، فَكَلَّمَه يَا لَيْتَ مَا كَانَ لَمْ يَكُنْ تُمَزق الْعَقْل وَالْقَلْب إلى فُتَات، وَعِنْدَ المَوْتِ سيدفن اسْمُك مَع جثمانك وَلَن يُنْجِيك كَلِمَة رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلي أحقق مَا يَشْفَع عِنْدَ سَمَاعِ "شَبَابَك فِيمَ أَفْنَيْته؟".

إنْ كَانَ الرُّجُوعُ مُبَاحًا لَكَان تَارِك الصَّلَاةِ استجيبت اسْتِغَاثَتُه، وَلَكِن فَوَات الأَوَانِ كَالْأَجَل لَا يَعُودُ الدَّهْر لَه.

* * *

أليس الأحق بالاهتمام من سكن نفس الرحم الذي أودعك الله فيه؟!

الجميع إلا من رحم الله يكدس الصداقة والأخوة في شخص لا يمت له بصلة، إلا أنه هدية الحياة له، لا دم ولا رحم قد جمعهما يومًا،

والأجدر أن يظفر الغالبية من التكدس هو الأخ أو الأخت، فبأي حق تنصت لشكوى غيرك وتقص له ما في جعبتك وأخوك وأختك يتمزق الفؤاد من الألم أو الوحدة لا يجد من يشكو له ويفض الفيضان الذي أغرقه من الداخل؟!

لا أقول أن تختصر الحياة فيه أو فيها فقط، ولا تكتسب شركاء حياة سواء دراسة أو عمل، فلا بد من نعيم يهون عليك مرارة الكفاح، لكن الخطأ أن يستحوذ على حياتك شخص آخر دونهما.

ساعة العسرة التي ستحل ضيفةً عند روحك وقلبك وقد تطيل المكوث، قد يتسبب فيها صديق، فإن كان النعيم انقلب جحيمًا يومًا، أليس بالأجدر أن يصبح أخوك أو أختك عمرك ليتقاسما العسرة معك ويطردان ذاك الضيف الثقيل؟

لا خير من إفشاء أذاك لمن آذاك؛ لأنك بذلك تزيد الآلام ولن تداوي أبدًا.

خير خليل أخوك وبعدها يأتي الآخرون.

* * *

- الأنين الذي يصدر منك ليلًا يصم الأذن عن العالم، ويكثف السحب على العين فيهطل منها دمع مرير، ويشل اللسان عن الحراك وكأن البكم احتل الفم، ذاك الوجه البشوش نهارًا هو قناع يزال ليلًا من الألم والندم عليك فقد أصبحت بعيدًا أشد البعد عن الله!

فما آن لك أن تفيق وتسترد الحياة مع الله يا فؤادي؟!

* * *

الأحزان لن تدوم.... الأفراح لن تدوم.

الغنى لن يدوم.... الفقر لن يدوم.

الشقاء لن يدوم.... النعيم لن يدوم.

الابتلاء لن يدوم.

إن كان هناك ما يدوم فهو الله الواحد الأحد.

لم يدم ملك فرعون وأغرق مع فسدة القوم وصاروا آية.

الابتلاء الذي أخلد أيوب في مضجعه سنين رحل عنه.

الأحزان زارت فؤاد المصطفى ﷺ وفقد الأعزة من الأهل ولكن الصبر صرفها عنه.

الفقر زار الكثير من التابعين ولكن غناهم كان التقوى وعزة النفس.

العمر مهما طال فالموت قادم لا محالة.

لم يخلد نوح رغم عمره الذي تجاوز الألف عام، أتخلد أنت يا من لن تتجاوز المائة عام إلا النادر؟!

الفناء واجب سواء رغبت فيه أو رغبت عنه

فلا تقنط؛ فكل ما هو آت من الله خير سواء عسر أم يسر.

* * *

جميع الأزهار تذبل إلا أنت، وكأن آيات الله المقيمة بروحك ترويها فلا تجعل ظمأ الإيمان يحل ضيفًا عندها ولا تجعله عابرًا يمر على فؤادك.

فيض أنت وأنا غيض بدونك.

* * *

- يغار عليها من تلك العيون التي محلل لها أن تراها ومحرم عليه ما أحل لهم، فبغض البصر مأمور، يغار عليها من حديث الآخرين عنها وهو يتحاشى النطق باسمها لكيلا تفضحه عيناه، يغار من ذاك الأب أو الأخ الذي يمسك يديها وهو لم يظفر بذلك بعد.

يشعر بأن قلبه جمر يبث اللهب في دمه فيحترق الجسد بالكامل؛ فالغيرة على المحبوب فرض عين، وشعور لا إرادي يتملكك إن كان المحب صادق الحب.

* * *

- قلبك، عقلك، تلك الكاف الملحقة أنت مالكها والمسؤول عنها، فالقلب بالإيمان اروِه، والعقل بالحكمة زنه، والحب فرض يجب أن تؤديه فأقمه فيهما تهنأ ويهنأ من حولك.

* * *

معضلة تلك الروح التي تهفو إلى مبغضها، لكن الظاهر تلبس رداء الكراهية الذي هو أشبه بجمر يحرقك.

- ألا تثقين بأن البعيد لن يؤوب؟!

- واثقة كشروق الشمس من مشرقها.

- لمَ الحنين إذن؟!

- أليست المضغة المتوارية خلف أضلعك تملك أحاسيس ومشاعر؟! أليست تلك المضغة على عرشها ذلك الغائب عندما نحت الفرحة تاجًا لها؟!

– ليس جميع الغائبين يجب أن يكِن القلب لهم الحنين؛ فالمواقف التي مَرَّت على روحك جعلته صخرًا لا يلين، ما آل إليه الحال أحق بأن نرتدي له الكراهية.

– أو نرتدي السماح واللا مبالاة.

– السماح؟!

لا أستطيع ولا أستطيع أن يتخلل الكره خلاياي، كل ما أقدر عليه التظاهر فحسب.

التظاهر بقوة وهمية والحقيقة ضعف ينهش اللحم كالكلب المسعور، وأيضًا التظاهر بالفرحة والحقيقة حزن كمين التهم كل ألوان الحياة، ولم يترك سوى سواد دامس.

كذلك التظاهر بالكراهية رغم الحب الذي لم تزعزعه تلك الآلام التي كخنجر طعنت القلب غدرًا.

أنا أثق تمام الثقة أن البعيد لن يؤوب، وإن آب سيتلقاه أجله، فليس الجميع من نصيبهم فرصة ثانية.

الفرصة الثانية لقلب نادم لا جاحد، عاد لتكرار الكَرَّة ظاهره حب، خفاياه ضغينة.

أتعلمين إن كنت مثلهم لصنعت صنيعهم وتلقيت الإساءة بالإساءة، لكن القلب الذي أحب بإخلاص، والثغر الذي ابتسم لفرحتهم، واللسان الذي دعا لهم مثلما دعا لنفسه لا يعرف الكره أبدًا، حتى وإن تظاهر.

هم تظاهروا بالحب وأنا النقيض.

* * *

بعض إن رأيتهم تبسمت صدقًا.

وبعض إن رأيتهم يبتهج قلبك.

وبعض إن رأيتهم تنار روحك.

والبعض والبعض والبعض قد اجتمعوا عندك

لا لغة ولا كلمة ولا قاموس يفهم ما يجول فينا، يعجز الجميع في ذلك إلا عيوننا تفضحنا عند النظر لكلينا وكأننا توأم روح.

* * *

- يثير العجب قول أحدهم "لا تكن أسير ذاتك".

أعلم أن الأسر هو دولة منهزمة خضعت لإرادة أخرى أو فكر منهوب منك عنوة ليتطور غيرك على حسابك، وليس هناك من يدافع عنك، فأنت في أمة منهوبة الخيرات والأفكار، فليس منك سوى الطاعة

مرغمًا حتى يأتيك فتيل الحرية فتشعلها قوة النفس وعزتها، ولكن أهناك شخص أسير في دولة متحررة لا قيود ولا اضطهاد يسوقها؟!

ما قصصته في البداية هو الأسر عند الغير، فما هو الأسر عند الذات؟ وحقًّا تلك التساؤلات السابقة قد يجعلها الإيجاب حقيقة موجودة على أرض الواقع؟ أيساق الإنسان وتكون الذات وحدها الجانية؟!

أجل، عندما يتزعزع الإنسان عن مبادئه ويسوق نفسه إلى مالا يرضيه هو؛ بل ليرضي غيره، ويقذف نفسه نحو تحقيق أحلام غيره مقوضًا أحلامه بسبب تلك البذاءات التي قيلت في حق حلمه، أحلال له أن يجهض وحرام على حلم الآخر؟!

أجل، عندما يستقبل الكلام الجارح له ببسمة وهمية تواري تفتتها، ظنًّا منه أن الصمت خير، هو وحده الجاني والهزيل، فأي دين يبيح له أن يبتلع آلامه ويكسر خاطره كي لا يفتعل غضبًا يشعل الجدال أو يولد خصامًا قد يودي بعلاقتهما؟!

أجل، عندما ينظر المرء إلى ذاته بأنها ضئيلة لا حق لها بأن تكون ذات شأن وذات رأي، عندما يصبح الإنسان منهزمًا من داخله لا طموح، لا حلم، لا بصمة يكرس حياته كي يتركها بعد موته، أليس بحق

الجميع أن يكونوا ذوي نفوس عزيزة الشأن ساطعة الأفق تدافع عن حقها وتوقف من يؤذيها ولو بشق حرف عند حده؟! ألم نسمع قول المصطفى ﷺ " إن لنفسك عليك حقًّا"؟!

حق في الحياة، حق في الراحة، حق في السلام النفسي، حق في الحلم، حق في القوة، حق في البقاء، حق في الدفاع، حق في الهجوم، حق في الإنهاء، حق في الرحيل.

سل جراحك هلا نست من غرسها أم إنها آثرت الصمت لكيلا تحزن نفس الجارح فيقطع الوصل بينكما فارتضت لك بأن تكون المجروح وأن تكون المريض النفسي يأكلك الاكتئاب أكلًا فتضمر روحك ولا حياة لك بعدها؟

انفض غبار الضحية الذي ترتديه، انفض روث الضعف عنك ولا تتنازل عن راحتك وسلامك الداخلي، ولا تبتلع لسانك عند إساءة أحدهم لك بالكلام، أوقفه عند حده، فإن تكرر الأمر ارحل فلا مكوث في علاقة تهينك سواء كان صديقًا أو غيره.

* * *

ماذا بعد؟

ماذا بعد اندثار الأمنيات ووأد الأخطاء العابرة لأرواح الشباب، ماذا بعد؟!

يا صاح افتح عينيك ولا تغلقهما، أتريد ألا تشرق شمس أفئدتنا ثانية؟!

يا صاح ستكون بخير لن ترحل، ألم نتعاهد على السير معًا وأن نحصد ثمرة أمنياتنا معًا وألا نفترق؟ هيا جاهد الموت ولا تنهزم، سأنقذك، تحمل، ستنجو بربك، لا تغلق عينيك، أتسرقك تلك السيارة اللعينة وصاحبها الأحمق منا؟!

ليس كل ما نتمناه ندركه، وليس كل من نحب سيتركه الموت لنا، فالأجل يهابه كل شيء، حتى الحب والصداقة.

أيظن الجميع يا صاح أن فؤادي صقيع جمد المشاعر الخاصة بك فيه؟!

أيظن الجميع أن الدمع لم يذرف من عيني هو قلة محبة لك؟!

إياك أنت أيضًا يمتلك عقلك هذا الظن.

يا صاح لا أصدق رحيلك

فقدانك سرق الروح والفؤاد والرؤية معه

الفؤاد تصلب النبض بداخله فلم يعد يبث الحياة

الروح ذهبت حيث أنت، ذهبت فأصبحت جسدًا بلا روح، جسدًا في دنيا وروحًا معك في القبر.

العيون لم تعد تري شيئًا سوى ظلام دامس، رحيلك سرق مشرق الشمس عنها فأصبح المغرب هو المالك.

كل ذلك ويظن الجميع أن فراقك لم يؤثر بي! يا صاح روحي عندك، لا تبعد روحك عنها إلى أن يحين لقاء الجثمان.

أما قبل:

فتاة في العقد الأول كانت لا تعلم من الحياة سوى الحياة لكل جارحة من جوارحها، يدها لم تكن تعلم سوى رسم تلك الشمس على كراسة الرسم، ولها عينان تضحكان لأن اليوم جميل وغدًا أجمل.

عيناها كانت تمتلئ بالحيوية والحماس، وكأن تلك اللمعة هي شعاع الأمل الذي ستحصل به على مرادها،

قدمها كانت تجول بين حدائق الأزهار، تجري وتقفز في كل ناحية فالبراءة كانت نور يهديها.

ثغرها كان مزينًا بالضحك النابع من صميم قلبها، ولسانها شهد كان يلفظ بدواء يضمد الحزن القابع في قلب كل من يحظى بالنظر إليها.

قلبها وروحها كانا الحب والأمل والخير للغير، هما من جعلاها ترى أن الحياة حياة.

هكذا كانت ذات العقد الأول.

فأما بعد:

أصبحت الفتاة ذات العقد الثاني

أتعلم الزهرة حينما تتبدل من النضرة إلى الذبول؟! هكذا آل حالها حيث حل الخريف على قلبها وروحها فجدبا وتصحرا، وذبل الحب والأمل والخير، وأصبحت جسدًا تقوده الحياة، الحياة التي نحن نعلمها، الحياة التي هي موت في ثناياها لا الحياة التي كانت هي تظنها.

أصبحت يداها لا تعلمان سوى القلم والدفتر اللذين تصب فيهما ألمها صبًّا، ألمها الذي تنسجه على هيئة حروف يخطها القلم، وكأنه ثوب تنسجه لتدثر غيرها وتعري ذاتها

أو كأنه عالم تخلقه لكل من ألم به ألم شبيه لألمها، كل من يرى حروفها تبكي عيناه وينزف فؤاده لتلك الحروف التي تصف ما يضمر داخله.

وأصبحت قدمها لا تعلم أي جهة تسلكها فاكتفت بأربعة حوائط تحيطها، وكأنها أم تدثرها وتخبئها من نظرات العالم المشفقة والشامتة

وأصبح ثغرها مصبوغًا باللون الأحمر، تسترق منه الكبرياء والقوة الواهية

ولسانها قتل الشهد وساد البأس فيما يلفظه.

هذه هي الحياة وأدت الشباب وأشابت القلوب والأرواح قبل الأوان، فمن كان زاده التقوى وحسن الظن بالله ورث النجاة، ومن كان زاده ما لايرضي الله ورث العيشة الضنك والبؤس، وقد يؤول الحال إلى الانتحار.

* * *

- البوح يأكل الأنامل من الندم ويسرق الراحة من الجسد والنوم من الجفنين، والكتمان لوكيميا تصيب الدم، ونار تكوي الفؤاد والمقلتين، فأين الحل؟

* * *

– ليس لك مني السماح، فتلك الصفعة التي أحرقت قلبي كفيلة أن تجعل اللسان لا يكف عن الدعاء بأن يصرفك الله، وألا يجعل بيننا لقاء، فألم الحريق ستداويه الأيام، أما أثره سيظل باقيًا لن يزول، أهو وجه أو عضو ظاهر أو ما شابه كي يظفر بعملية تجميل؟

* * *

ها قد حل سكون الليل، وغاص كل شخص في سبات عميق، أحدهما يرى حلمًا سعيدًا فيبتسم ثغره دون سابق إنذار، وآخر يتصبب العرق من جبينه وكأن كابوسًا يخنقه، أما أنا لا هذا ولا ذاك..

أنا الغارقة في بحر من الأحزان والشوق والحنين والحب والكره في آن واحد.

أنا التائهة في مغارات الحياة لا أعلم أيًّ مما سبق هو السائد.

آلحزن على الفراق الذي أذف نفسه بيننا، ولا نعلم أمؤقت هو أم دائم؟!

أم الشوق إلى تلك العيون التي تلتهم الخوف الساكن في مقلتي والمتغلغل في أواصر الروح والقلب؟!

أم الحنين لرؤياك مبتسم الثغر منفرج أسارير الوجه، وحنين لكلماتك التي تروي ظمأ الفؤاد؟!

أم الحب الذي صهر فؤادي وفؤادك فصار كلاهما واحدًا، ذَوَيْ نبض واحد؟!

أم الكره الذي خلفته الغيرة من تلك العيون التي تحظى برؤياك، ومن تلك الأيادي التي تلمس يمناك، ومن تلك الشفاه التي تقبل خديك، ومن تلك الأرجل التي فازت بالسير محاذاة خطاك، ألست محقة بالكره لهم جميعًا؟!

العالم مليار من الأشخاص، ولكنك أنت فقط بمثابة العالم لي، فهنيئًا لك إن وأد الحب الفراق وأذن لنا باللقاء.

* * *

إن ابتغاك لأعد عدته وجعل قلبه درعًا يحميه من البوح، وعينيه رمحًا مصوبة تجاه تلك الحرب التي سيتعاركها ليظفر بك حلالًا.

ويده ليست بطشًا تكتب كلامًا ليس حقًّا لك قراءته الآن، بل جف العفاف حبرها وأبى أن يذيبه إلا بعقد قران. ورجله ضلها عن الوصول

إليك خلف شجرة أو مكان ناءٍ لا يراكما أحد فيه؛ لأنه أراد لها ألا تعلم سبيل وصول غير بيتك.

ولسانه عفه عن الحديث معك، وجعله عنك مع الله، وعاهده أن يطلق لسانه معك في رؤية يرتضيها الله والخلق وختامها فاتحة الكتاب.

فما ظنك إذن بالذي سرق قلبك خلسة من شات أو شباك دون علم أهلك، أليس ابتغاؤه شهوة لا حبًّا؟!

ما ظنك من قذف الرعب في قلبك خشية أن ينكشف ذنب حديثك معه ولم يأبه لبث الأمان والطمأنينة في قطرات الدم التي أرهقتك، أيحبك أم يشتهيك؟!

الابتغاء إن كان مسلكه حلالًا بورك، وإن كان مسلكه حرامًا محق.

* * *

أتظنون أن رحيلكم سيقذفنا نحو آبار الأحزان والشؤم؟!

أتعتقدون أن الأسود الذي اصطبغت به حياتنا وتقوقع في أعيننا حزنًا عليكم؟!

ما هو إلا حدادًا لقلوبنا التي احتضنتكم ودفعت عنكم ألمًا أيامًا وسنين، ولكن سيقشع القلب السواد بعد مرور ثلاثة أيام، والعزاء هو البقاء لله وحده، وكل الأحباء إلى زوال.

ويتبقى سؤالٌ واحد

أهانت سنون الود أم غرتكم معزتكم؟!

إن هانت فأنتم من القاسية قلوبهم، لم تلن لآيات تشفي صدور قوم مؤمنين أيلينها ود أنتم لستم أهلًا له؟!

وإن غرتكم لا تنسوا أن محلكم القلب الذي ندعو الله دومًا له بالثبات على الدين، فهو تارة يبلغ الإيمان فيه ذروته، وتارة يجف ويصبح القلب صحراء قاحلة، فما بالكم بالود؟! الذي هو صفر يسار الإيمان الذي يقف كشموخ الواحد لا يلين أبدًا ولا تؤثر به نوبات الدهر.

قلبنا بالود سيجف، فلا تفخرن كثيرًا ولا تغرنكم المكانة، فأنتم بالقلب لا الروح.

فمن نسأل له الله ألا ينقلب عنه ليس بعزيز عليه نسيان ود هين زائل، فالبقاء لله وحده.

* * *

- بعض بني آدم وبنات حواء شهد كلامهم يندثر فيه العلقم الذي يبث سمه في نبضات القلب، فيصاب الدم بسرطانٍ يفني العمر.

* * *

تمزقت الروح من الأسقام التي توالت على القلب فأنهكته، وكل ذلك والجوارح تقول سلامًا على من مر وغرس فينا تلك الأشواك، لعمرك إن كل ذي قلب مريض وعقل عقيم سيسقي بما سقى به غيره، فدعهم في غيهم يغرقون، فإنا لله وإنا إليه راجعون عندما تقال في مصيبة موتهم سيعلمون أن الدنيا دار غرور، وأن حقدهم أورثهم التهلكة.

* * *

كل روح ذائقة نسيم الحب إن صانت قلبها وعفت بصرها.

* * *

يبتليك الله ليطهرك من تلك الآثام التي أوصدت أبواب التوبة وأنشأت جبالًا ثقالًا تحجبك عن الركوض إليه بقلب خاشع.

يبتليك لأنه يحبك ويريد لك النجاة من متاع الدنيا الذي يسكر القلب فيذهب عنه النور والإيمان.

يبتليك لأن فيك خيرًا رآه في جوفك، فأراد أن يظهره لك ويخلع من عقلك اليأس من رحمته لكي تستقيم على ما يرضيه، وتنعطف عن مسار معاصيه، فإنك بالأرض عابر ستعود إليه في يوم آت لا مفر منه، فأراد

أن يرزقك حسن الختام وفرح اللقاء، فسعدك أيها المبتلى فإنك عند الله عزيز، فما ابتلاك إلا لمعزتك لا لهوانك فبشراك.

* * *

بعض الأفعال يماثل ألمها ألم الحريق يتغلغلك ولا يسكنه أي دواء، وعندما يضمد الألم سيبقى أثره، كلما سقطت عليه عيناك عاد إليك وكأنك أحرقت في الحال.

هكذا هي حتى وإن باتت ذكرى؛ يبقى مر علقمها يتذوقه لسانك، والألم يغزو كل خلية من خلاياك عندما تهفو على عقلك وتتصورها عيناك ويبصرها قلبك، فرحمك الله من ألم دائم لا يضمده سوى فقدان ذاكرة أو موت.

* * *

انزويت إلى كنف الجدار طالبة من صلابته أن تورثني شيئًا منها لأكمل المسير فقوض أشلاءه وأسقطها شلوًا تلو الآخر، ليستقبلها رأسي المنهك من الفكر والصراع، فبت طريحة الأرض لا أقوى على الحراك، وكأنه أراد إثبات أن اللجوء لغير الله سيرفع عنك الستر ويعري

ضعفك وسقمك أمام الجميع ويدنيك من أجلك، أما اللجوء إليه سيؤدي إلى إسدال ستار القوة والصحة، وسيتوارى خلفها السقم والضعف.

لأنه الله سيظهر منك أجمل ما فيك، ويستر قبيحك وضعفك، فقط الجأ إليه؛ تغشاك معيته.

* * *

لا تأبه بما مضى فالتوبة تجب ما قبلها، وها قد أتى نور يلتهم تلك العتمة التي تخللت أواصر قلبك، وتحيي ظلام روحك، وتروي جفاف عقلك.

* * *

عندما يمجدك أحدهم عند صفاء القلوب ويبغضك ويكدر صفوك عند شحنها، فاعلم أنه لا سبيل للحب بينكما؛ بل هو إدمان وجود فانسحب.

* * *

كن أنت ولا تكن غيرك، فالتشابه طرد لكل جميل، والاختلاف تجاذب البقاء والأثر.

* * *

أتحسب أن متاع الدنيا إن ثقفت به ستصير غنيًّا وأكثر أهل الأرض فرحًا عند سماعك قول الآخرين يا ليت لنا مثل ما أوتيت؟! إن كان ذلك فاعلم أنك جاهل في الحسبان؛ فقد قدمت نفسك ضحية شهوة ستلقيك ضريحًا لا روح فيك ولا حياة.

فالطمع والغرور كالسم إن أصيب قلبك بهما فعليك الرحمة ووجبت على المآذن أن تعلن خبر وفاتك.

* * *

- عيناك خمر والفؤاد سكر بها، فاللهم عقد يغفر الذنب.

* * *

- تنقبض الروح ألمًا فتصير النفس على قيد الموت لا الحياة.

* * *

- أهناك حياة لقلب لا مشاعر له؟

* * *

- أخشي أن يكون الخائن ليس بخائن، وأن الحميم هو اللعين.

* * *

- الْحُبُ إنْ صَارَ حُجَّةً عَلَيْك اخْلَع قَلْبَكَ مِنْه.

* * *

- اجلد قلبك إن تمرد على عقلك؛ فالبصيرة إن أغشاها الهوى، البصر حينها هو الأحق بالزمام
فاتبع عقلك.

* * *

اتكأ القلب على عاتق نبضك آملًا أن يبعث روح الحب في جسدك، فتصير أنت الحياة التي آوي إليها لأتدثر بحضنها هربًا من تلك الندوب التي مزقت الفؤاد، وأصير أنا النور الذي يهديك في ظلمات الألم وكهوف اليأس اللذين فقآ عينيك.

* * *

نتنازل لأجل راحتهم، وعند راحتنا يتنازلون عنا، وكأنه فرض علينا سنة لهم، فنؤدي الفرض ويتركون السنة.

* * *

الذنب آفة تنشر الوباء داخل جسدك، وتنهش الحياة منه، فالجأ إلى التوبة تداويك من كل مرض.

* * *

تلك النكتة ثقبت القلب فأصابته بنزيفٍ ينزف سوادًا لا دمًا.

فتلك الحمرة تخص القلوب الخجلة من الله وتخشاه في كل آن، لذلك ذلك السواد لا تضمده أدوية الطبيب وإن تكالب الطب بأكمله على المداواة، فكثرة الذنوب وتواليها أعمت عيونهم، وأعجزت الأشعة الخارقة عن رصد النزيف بسبب ما كونه من ران حجب القلب وأسره في عالم الضنك والخطايا.

- ما تعجز عنه أدوية الطبيب تداويه دموع تائبة وقلب نادم.

- النكتة بالتوبة تنجلي وتترك ندبة تمحوها مداومة الوصل.

فما آن للبعيد أن يؤوب؟! ما آن للعين أن تخشع؟! ما آن للقلب أن يفتقر إلى الله؟! ما آن للجوارح أن تعترف بخطاياها وتفر هربًا من الموت الفجأة إلى الله.

* * *

الصديق ليس شخصًا بل رزق، وأحيانًا ابتلاء!

الأول يشد أزرك ويقوي عضدك ويأخذ قلبك رغمًا عنك لينيره بالذهاب معًا إلى الله، أما الثاني فهو كفارة لك عن ذنوبك، وفي كلتا

الحالتين أنت الفائز، فسل الله أن يرزقك صديقًا صادق المظهر والجوهر، لا صديقًا أمامك موسى وجوهره فرعون.

* * *

الصداقة الصادقة كالبرد الذي يثلج حرارة الآلام التي سكنت مقلتيك وتخللت أواصر نبضك، فالضحكة الناشئة من تلك العلاقة كالغيث يروي قلبك الجاف من الحب، ويروي عينيك فتهطل الدموع فرحًا لا حزنًا، ويروي روحك المتصدعة من الابتعاد عن الله.

* * *

الحب الطاهر دائم الإزهار، لا يحل عليه خريف أبدًا، وكأن الدهر توقف في حضرته وأقسم بألا يخطو ثانية، فالحب شاب لا يشيب.

* * *

الحب شيب يلتهم سواد رؤوسنا، وتجاعيد يخطوها الزمان بقلم العمر، وسنون آكلها حلاوة الذكريات، وما زال القلب ينبض مضطربًا ويتورد خجلًا عند همسك أحبك، وكأن الشباب فيه دائم أبدًا لن يزوره شيب.

* * *

" لا تجعل الثأر إلا منك"

هناك بسمة انكسار وأخرى انتقام، والأطهر بسمة نابعة من قلب صاف نقي لم يطأ نبضه دنس الحياة ولكن ستظل تلك البسمة منقرضة لن يلمحها البصر، فالعالم أصبح خرابة ومقرًّا تعشش بالفساد، وماؤه سفك الدماء، أيستمر ذاك الحال أم هناك مصل سيقتل ميكروب الانقراض؟! وكأن ذاك السؤال عقيم ليس له الحق أن تنجب له الحياة الجواب.

ولكن تبقى بسمة الأخذ بالثأر هي التي تروي وجعًا بات ينزف زمنًا من الدهر، شهور أم سنين لا نعلم، ولكن ما يوقف هذا النزيف هو القصاص.

تلك الصغيرة لم تزُرها تلك الابتسامة إلا اليوم بعدما تخلصت من شوائب البشرية التي اقتحمت حياتها عنوة، وأرادت أن تجعلها أداة لأداء أحلامهم لا أحلامها.

اليوم طعنت ذاك الخنجر في صميم وريدها للتخلص من ذاك الضعف الذي احتل كل ذرة في جسدها، وكأنها تجري حجامة للتخلص من الدم السام الذي يجري في أوردتها.

معلنة أن النصر من كسر ضعفك يولد، والألم من الجرح سيضمده التحرر من تلك القيود والأغلال التي صنعها كل عابر أراد المكوث في قلبك ونزع الطيبة والخير منه، وجعلك مثله قبيح البصر والبصيرة.

تحمل ألم التحرر، تحمل ألم التغيير، تحمل ألم الاستغناء، تحمل ألم الصدمات، تحمل ألم الخذلان، تحمل وتحمل وتحمل كل تلك الآلام مؤقتة فلا تجزع منها بل اصبر.

لأن ما سيأتي من راحة بال وطمأنينة نفس وقوة وحذر واستنارة وتوسع مدارك ورشد عقل ونور قلب وكسر كل ضعف، سينسيك مر العلقم الذي تجرعته.

واعلم أن الثأر هو الثأر من الذات؛ لأنك أنت وحدك الجاني، فأنت من قذفت نفسك لتلك الآلام، وأنت من جعلت نفسك تابعًا لا مُتَّبعًا خاضعًا لا مخضوعًا له، أنت من جعلت نفسك فأر تجارب لمن حولك، فلا تأخذ الثأر إلا منك.

* * *

لا تستمر الحياة كونها ربيعًا فقد يهطل عليك خريف وتطول شهوره، ويقتل ما سبقوه، ويحارب ما سيتبعونه، حتى يتربع على عرش قلبك معلنًا استمرار تساقط أوراق السعادة من قلبك، فإما أن ترضخ لذلك مستسلمًا، وحينها ستجني خيبات الألم أو تنفض غبار اليأس، وتجعل من ذلك الخريف ربيعًا يزهر الأمل في قلبك ويجعل صحراء روحك بستانًا، ثقة بأن كل مر سيمر.

* * *

يصبو القلب لك لأنك مجده الذي يصبو إليه منذ نبضته الأولى.

* * *

صحراء أنا فقيرة الحياة، وأنت كالغيث أتيت فاستحال الحال من أرض بور لبستان من الزهور.

* * *

صم أذنيك عن كل بذيء يقال عنك وليس فيك، الله عالم والملائكة تدون كل صغيرة وكبيرة، فما هم بظالمين ولا ربك بظلام، فصه ولا تتحدث مع صاحب الألفاظ، أتتحدث مع الكلب على نباحه أو الحمار على نهيقه؟!

سيخلق الله من ثنايا الحزن الساكن في مقلتيك نورًا يبشرك بأن بعد لكل ضيق مخرجًا، وبأن الرزق سيساق إليك وإن اجتمعت الخلائق ليقطعوه عنك.

* * *

" العدو الخفي"

أصبحنا، أمسينا الحقيقة التي لا مفر منها أن لكل منا أعداء ولكن أكل عدو شخص يكن لك الضرر؟!

هناك أعداء مستترة عن الرؤية، ولكن واضحة الوجود بأثرها، وأعداء واضحة الرؤية والوجود.

يبقى الأهم وهو العدو الخفي.

فالعدو الأول: إبليس وعشيرته لا نراهم ولكنهم يجرون من بني آدم مجرى الدم، مكرهم واضع بتلك الوساوس التي يريدون غرسها عنوة في المراكز الروحية، فتصير مسلماً لقبًا كافرًا فعلًا.

العدو الثاني: هم معاشر الإنس الذين احتل الحقد القلوب والأبصار فهم يصومون عن الخير ويفطرون على الانتقام.

كلا العدوين السابقين كل منهم ينفرد بشخصه وكيانه لذلك ملحوظ، أما العدو الخفي هو ذاتك.

أنت عدو نفسك عندما تتردد عن تحقيق حلمك، أنت عدو نفسك عندما تريد إلحاق الدمار بك، أنت عدو نفسك عندما تكره لون بشرتك، أنت عدو نفسك عندما تكره أي خصلة حسنة فيك، أنت عدو نفسك عندما ترى نفسك أدنى كل الخلق في الخير الموهوب من الله، أنت عدو نفسك عندما ترضخ للانتحار.

أنت أشد وأنكر الأعداء لأنك وذاتك جزء لا يتجزأ، لذلك يصعب عليك اكتشاف الضغينة التي تضمرها لك، فأنت تظن أن تلك الصراعات والأفكار المميتة من صميم عقلك وتلك القرارات السلبية التي اتخذتها كانت بكامل قواك العقلية والبصرية، ولكنك أخطأت، كل ذلك عداء منك لك، فهلا تحررت من قوقعة الكره لذاتك وسامحتها؟!

أتعلم أن مصالحة الذات تورث السلام الداخلي وشفافية الروح ونور القلب؟!

المصالحة تأتي بالتسامح والرضا ودفن القنوط في القبور.

تسلح أمام عدوك الأول بإيمانك وقرآنك.

وعدوك الثاني بتفويض أمرك لله والتضرع إليه بأن يؤمنك مكرهم.

وعدوك الذي هو أنت بإحياء الأمل والإصرار في كرات دمك وخلاياك العصبية وأن تفر هربًا منك إلى الصلاة.

* * *

أنت من أسقطت قلبك أرضًا فلا تشك إن صار مداسًا لكل عابر.

* * *

حارب لأجل نصيبك من السعادة، وما إن تنتصر وارِها في ثنايا قلبك؛ لأن لصوص السعادة سيلاحقونك كي لا تهنأ بها.

* * *

"هكذا هو الحب"

الحب صادق إن كان بلا ذنب، الحب حلال إذا توجه عقد قران، الحب مضغة تصلح القلوب والأبصار.

أتظن أن الحب مقتصر على فتى وفتاة؟!

باء وخسر أتباع هذا الظن

فالحب أيقونة الأكسجين التي بها تشيد الحياة

الحب هو روح ترفرف في السماء آمنة مطمئنة؛ لأنها نالت محبة الله، ومن أحبه الله أسكنه جنات الخلد وغرس حبه في أفئدة العباد.

الحب هو نور يضيء ظلمات الليل والناس نيام، أو ذاك الليل الذي يختلي فيه كل محبوب بمحبوبته، فهنيئًا لمن جعل قرة عينه الصلاة، وكان الحبيب هو الله.

الحب هو ذلك الحرمان عمَّا لذ وطاب اتباعًا لسنة النبي العدنان ﷺ، فذلك الحب هو شفاء لما في الصدور، وطهارة لما في القلوب، وعفاف لما في العقول.

الحب هو بتر العقوق الذي بالفؤاد تجاه الآباء والأمهات ابتغاء رضاهما، وابتغاء رضا الرحمن.

الحب هو تلك البسمة التي ترسم على ثغر زوجة عند ملاقاة رفيق قلبها فتذيب جليد الأحزان بداخله.

الحب هو تلك المجاهدة بألا تعصي الله في من مالت له تلك المضغة التي بين أضلعك هواء إلى إلفها

جعلت حب الباري ورضاه فوق هواك، سيرضيك ويجمع قلبك بمن يريد.

الحب هو ذاك اليقين بأن قلب من أحببتِ بيد الله، فإن كان لك سيجره الله من قلبه إلى عقر دارك طالبًا إياك رفيقة الدرب إلى الله.

نأسف أيها الحب على ما بدر منا من سوء ظن بأنك متهم، فقد غرق أناس في بحر الخطايا تحججًا بالحب وأنت من تلك الجرائم مبرأ.

نأسف أيها الحب على تخصيص حبك على فئة بعينها، والحقيقة أنك بعثت لجميع من بثت فيهم الروح لتهنأ حياتهم وتورد وجوههم وتسعد قلوبهم وتشرق جوارحهم إقبالًا للحياة.

* * *

"وهم"

"أمٌّ" تنهاك عن صحبة بعينها أو تصرخ فيك لتنهاك عن منكر سئمت النصح بسلام فيه، يشتد عليها الحمل فيخرج من فِيها أدعية بالفقد لروحك أو بالخسارة أو بفقدان البركة في يومك، كل ذلك ليس كرهًا؛ بل حبٌّ غلفه الخوف والألم وفقدان السيطرة على الذات، إن

ظننت أنه كرهًا فهذا وهم، فالأم التي تقسو عليك هي التي أيضًا لا يغفو لها جفن وأنت يسيل من عينك دمع، أو يسكن فؤادك ألم، هي التي تتمنى أن تفقد النطق قبل أن تتفوه بلفظ يؤذيك.

هي التي تتمنى أن تصعد روحها إلى بارئها قبلك، فهي لا تحتمل أن ترى فيك مكروهًا، فالتمس لها العذر.

"أب" يتجاهل أبناءه لا يعلم عنهم سوى أسماء دونت على أوراق، هذا وهم فلا تحمل الحياة في أحشائها آباء هكذا، فإن وجد فحتمًا قد أجهضتهم، لذلك لم يكتمل نمو الأبوة عندهم.

فالأب رغم المعارك التي تدور في عقله والنوم الذي لا يزور عينيه، وقلبه الذي يتشقق ألمًا بحثًا عن عيشة راضية لا ينسى أولاده وأمنياتهم وأحلامهم، ولا ينقطع لسانه أبدًا عن الدعاء لهم، فالتمس له العذر.

"صديق" سقطت الياء منه فانقرض ما بقي بعد السقط فلا خير في تلك العلاقة لأنها وهم.

"حبيب" ألقى على مسامعك بما ليس له به حق إلا بميثاق، فليس بحبيب وليس بحب لأنه وهم.

الوهم: هو تلك الوسوسة التي تحاصر عقلك، فإما أن يسقط أسيرًا في يديها بتصديقه إياها، أو يتحرر منها باستغفاره فيرزق نور البصيرة، ويعلم حينها حقيقة الوهم ويطمئن قلبه وعقله، ولن يعيش بعدها إلا في رحاب البحث عن طريق رضا الله.

* * *

"كدمات روح"

متعب، مجهد، منهك، مريض، كل ذلك إن كان في الجسد فهو مرئي للعيان

راحة ودواء يتبدل كل ذلك لأفضل حال

كل ذلك هين أمام كدمات ونزيف مستتر لا يراه سوى المصاب عليل البال

فالروح لا ترى ولا نعلم ماهيتها؛ لذلك يعجز أمامها الطب وتنشل أيادي الطبيب، فلا دواء عندهم لها.

الكسر في العظم يصلح بجبيرة طبية، أما كسر الروح لا يصلحه إلا جبر إلهي

كدمات اليد يلتهمها كمادات ماء دافئ، أما كدمات الروح يمحو أثرها آيات القرآن.

النور الخفي في تلك الحروف يداوي أمراضًا خفية أصابت الروح.

ولكن..

إياك والاستهانة بكدمات الروح، فالمرء إن كان بعيدًا عن الله ذهب إلى الكفر بقدميه وابتلعه الانتحار.

إن كنت تريد الظفر بحرث الدنيا والآخرة مد يدك إلى كل عليل روح وخذه إلى الله، هكذا أمنت ألا يكونوا فريسة للانتحار، وأنجيتهم ممن تقول هل من مزيد.

* * *

أيا عمر مهلًا، فلمَ العجل؟ فالروح من الشقاء أتعبت

أضمنت أنك من المتقين ولأجلك الجنة أزلفت؟

أيا عمر مهلًا، فلمَ العجل؟ فالقلب من الجفاء دنس

أعلمت أنك بذلك ضمنت مقعدك في ويل للقاسية قلوبهم جهز؟

أيا عمر مهلًا، فلمَ العجل؟ فالعين من الحرام أصبحت جرداء

ألا تريدها أن تبكي مرة من خشية الله فتتبدل صحراؤها إلى أرض خضراء؟

سنوات تمضي كأيام، وأيام تمضي كثوان

والأمر الأخطر من ذلك أننا نعجب ونتحسر ولا يصدر منا أي قرار

الدنيا تحلو في أعيننا وغرورها التهم البصيرة وغرقنا في الدنيا ظنًّا بأنها ستظل معمورة

والكهف عكست صورتنا عندما قال ما أظن أن تبيد هذه أبدًا، ويلاه من تلك المقولة!

هذا شهيد، هذا مجاهد، هذا حكيم، وهذا للقرآن حامل

أما نحن عن هذا وهذا نجهل، لا نعلم غير مطرب وأغان يصدرها رنين الجوال.

هذا صائم، هذا قائم، هذا داع، هذا على الأذكار دائم

عن هذا وعن هذا لا تنفطر قلوبنا للحاقهم، فالعقل لالتقاط العيب فيهم قائم

أيا عمر مهلًا، ويا قلب سل الله أن يغسلك بالماء والثلج والبرد، ويا روح سلي الله الشفاء، ويا عين سلي الله البكاء من خشيته، ويا لسان سل

الله أن يجعلك لا تتلفظ إلا بالمعروف، ويا جوارح سلوا الله أن تسيروا إلى ما يرضاه.

* * *

في الصغر كنا نسعى بقدر الإمكان لخلق أسباب وأعراض مرضية وهمية تجعلنا نتنظر بفارغ الصبر فاه الطبيب لينطق بأن من حقنا ارتداء نظارة فهناك ضعف في النظر، ولكن عندما يقول نحن بخير والإبصار سليم وتام الدرجة كنا نتذمر ونحزن، وكأننا ابتلينا بمرض يدعى الصحة، وعندما مر العمر وأصبحنا ندرك معنى الصحة والمرض وندرك الظلام الذي سيلتهم أعيننا بفقدنا البصر أصبحنا نسعى بشتى الطرق للحفاظ عليه، ولكن هيهات، فقد فات الآوان، لم ندرك قيمة النعمة إلا بعد زوالها.

* * *

يصيبنا الخوف وتقلب المزاج عندما يصدر منا فعل سيغرس الحزن في قلب من نحب....

لن يفيد العذر حينها ولا الاعتراف بالخطأ

لأن الأصلح لنا أن نطعن قلوبنا بخنجر لقبيح صنيعنا، فأي أسف هذا الذي سيداوي جروح الروح؟!

إن ضاقت صدورنا فصدوركم أكثر رحبة

وإن صدرت منا الحماقات فليس وربي الكعبة سوء تقدير بل وساوس نفس.

فهل من ملجأ يبدل الخوف لأمن والمزاجية لطمأنينة وسلام؟

إن كان الجواب إيجابًا

فالقلب متعطش للسماح.

* * *

الحياة ممر لكل من وهبه الله روحًا، وآخر المطاف إما جنة أو نار، والنتيجة تحددها الأعمال إن كانت صالحة فقد فازت، وإن كانت طالحة فقد باءت، وما بين الميلاد ونهاية المطاف أحداث لا يستطيع القلب تصديقها، ولا يستطيع العقل تخيلها.

العدو معروف أمام عدوه لا يتمثل النفاق

لذلك الصفعة القوية منه ستستقبلها بصدر رحب

لكن أتعلم أن هذا العدو هو خير من صديق أمامك ولي حميم وقلبه ألد الخصام؟

هذا الشخص يجب لإبليس وعشيرته أن يجثوا له فقد فاقهم في المكر والخديعة

فإبليس أعلن العداء للمسلمين، فأصبحت الحرب بين الإنس والجن معلومة أبد الدهر.

ولكن ذلك الشخص قد أضمر العداء في قلبه لأخيه، حتى وإن كان ذلك العداء سيخرجه من الإسلام.

بربك أي حقد هذا الذي يورث قلبك السعادة ويجعلك تنام قرير البال وأنت قد آذيت أخاك في الإسلام، أي حقد هذا؟! ألست مسلمًا؟! أم إن الإسلام قد هان عليك؟!

* * *

قالت: آلحب إثم؟

فأجابتها قائلة: كيف والحبيب ﷺ قال: "إني رزقت حبها" الحب رزق، والرزق خير، والخير رضا، والرضا من الله، وما عند الله لا ينال إلا بطاعته. والحب المقصود: هو نطفة خلقت في قلب اثنين في لقاء شرعه الله، نمت إلى علقة بقبول أودعه الله فيهما، وتحولت العلقة إلى

مضغة بخاتم زين بنصرهما الأيمن، وظلت تنمو في فترة الخطبة وكل ذلك ولا يعلم أحد منهما عن تلك المضغة شيئًا إلا عندما جاءت طلقة الميلاد "بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير" فولد الحب.

* * *

"الموت والحياة"

الموت والحياة لا يقتصران على دخول القبر أو تصاعد الأرواح إلى بارئها

فبيننا أناس أجسادهم قائمة في الحياة، ولكن قلوبهم فارقتها منذ زمن، أينما حلوا بأرض خلفوا من ورائهم ظلماء، وأناس بيننا بقلوب وأجساد قائمة أينما حلت أنارت الأرض والسماء، إما بذكر أو عمل أو دعاء

فما السر وراء ذلك؟!

قال ﷺ: "مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكر الله كمثل الحي والميت"

وأيضًا أمراض القلوب التي لا تداوى، أزفت الآزفة من تلك القلوب.

فلا يهنأ إنسان وكان في قلبه مثقال ذرة كبر أو رياء أو حسد؟! فما بالك والقلب تشرب بالمادة كلها لا ذرة منها!

فيا معشر بني آدم وبنات حواء وعباد الله

الدنيا فانية والآخرة هي الحقيقة الباقية

العمر يمضي بلا عودة والموت آت لا مفر

الشر يدون والخير يدون

فلمَ الغفلة والتسويف؟! لمَ التجرؤ على الله بالمعصية والجهر بها؟!

لمَ يفتن بعضنا بعضًا؟! أصغرت ذنوبنا فطمعنا أن نستزاد بإغواء غيرنا؟!

أم هانت علينا ذنوبنا فغلبنا شيطاننا لما هو أعظم؟!

قال رسول الله ﷺ: (إيَّاكم ومُحقرات الذنوب، فإنَّما مَثَلُ مُحقرات الذُّنوب كمثل قومٍ نزلوا بطن وادٍ، فجاء ذا بعودٍ وذا بعودٍ، حتى جمعوا ما أنضجوا به خُبزهم، وإن مُحقرات الذنوب متى يُؤخذ بها صاحبها تُهلكه) رواه الإمام أحمد بإسناد حسن.

أنقذوا قلوبكم قبل فوات الأوان فالقلب الميت التوبة تحييه والذكر يرويه، أما إن صعدت الروح فحاذر أن نكون كالذي قال "رب ارجعون".

حينها لن ينفعك لا مال ولا بنون، وستكون وحدك بعملك الظاهر والمكنون.

* * *

وتورد القلب من الحب خجلًا، وطهره أن يواري حتى يحلله ميثاق غليظ.

* * *

حياتنا كطفل صغير يتعلم المشي، يسير حينًا ويسقط أحايين، ولكن يؤول الحال بأنه سيصير شابًّا، سيصبح المشي ذلك الأمر الصعب عادة يألفها، وكأنها جزء منه، وسيضحك متذكرًا كيف كان معضلة تؤلمه حينما يسقط....

هكذا الحياة تهدينا أحيانًا معضلات تسقطنا في قاع الحزن وتبتر الفرح فينا، وفي ذلك الوقت نتحسر على ما نحن فيه ونجزع وكأن أعيننا ابيضت وأفواهنا صمتت وآذاننا بكمت عن قوله تعالى "وبشر الصابرين"، لا تظن تلك المعضلة غضب من الله؛ بل ابتلاء ينجيك من كل ذنب ويطهرك من كل رجس لأجل ذلك قلت الحياة تهدينا لم أقل تؤذينا أو تقتلنا

فالابتلاء هدية وليس عقابًا، الابتلاء نعمة وليس نقمة، الابتلاء منحة وليس محنة، الابتلاء فرج وليس كربًا، فلا تنزوين في قاعات القنوط وتثرثرن بالشكوى، فأمر المؤمن كله خير، إن أصابه خير شكر وإن أصابه شر صبر، لأن مع كل ابتلاء يسر فلا تجعل ظاهر الشيء يخفيك جوهره، فاصبر واحتسب، فسيأتي اليوم الذي ستقول فيه لم يكن عذابًا بل رحمة؛ لأن الله سيفتح عليك أبواب الخير وستنار روحك وسيطيب قلبك، فأبشر فقوافل الخير مقبلة وقافلة الشر مدبرة.

* * *

الحب ليس أن يكون الحبيب بجانبك دومًا، فلا بد من سنين عجاف تعصف بكم، أو ميلاد مسافات تعزل بينكم، كي نستبين قيمة وصدق ذلك الحب، وحينما يصدق القلب في حبه سيسقط مغشيًّا عليه من فرط الشوق والعذاب بتلك الأيام أو السنوات العجاف، ولن يفيق إلا إذا اشتم تلك الريح التي تبعث فيه أمل اللقاء كفرحة يعقوب حينما قال "إني لأجد ريح يوسف".

الحب ليس كلامًا يقال في موضع تجني منه آثامًا؛ بل نطفة تخلق في رحم القلب، غذاؤها دعاء يحلق في السماوات السبع يكمل نموها على أمل الميلاد في قلب الآخر بلقاء يرتضيه الله ويثيب عليه.

* * *

تدور الأيام ويكبر الصغير الذي طالما تمنى أن يمر العمر سريعًا كي يصبح شابًّا، ولكن ها هو الآن يتمنى الصغر ولكن الشيب قد التهم كل ما تمناه.

فعينه التي كانت تلمع بركوب أرجوحة أو عودة الأب من عمله أو مشاركة أقربائه وجيرانه وأبناء سنه في اللعب في الشوارع

قد استحالت إلى أرض جدباء فقد التهمها شيب الجفاف...

والقلب الذي كان يرقص فرحًا لتحقيق أمنية أو سفر ها قد أصيب بشلل كلي والتهمه شيب العجز....

والروح التي كانت تنير جميع جوارح الجسد تبث فيه طمأنينة ورضا، أصبحت الآن كالليل السرمدي إذا نظرت إلى يدك لن تراها من شدة العتمة كأنك أُصِبت بالعمى والتهم الروح شيب الذنوب....

فيا صغيرًا تمنى الكبر رب خيرٍ لم تنله كان شرًّا لو أتاك.

العمر سيمر بسرعة البرق ولكن الأعمال هي التي ستبقى، فعش كل مرحلة وأدها حقها لتستقيم المرحلة التي تليها كي لا تندم على عمر ولى.

* * *

بعض إن قدمت لهم كنوز الأرض سيكتفون بك وبعض رؤياهم لك نور يبدد ظلام أحزانهم، وبعض إن رآك سراجًا سيسرقون وميضك حتى ينطفئ وبعدها سيهجرونك، وبعض إن كانت عنده لك حاجة أخذها ومضى وكأنه مسافر وقف في محطة حياتك، لذلك وجوده لن يخلف أثرًا يبكيك، وبعض وجودك على الدنيا كابوس لهم، وكأنك ملك الموت بالنسبة لهم، هؤلاء لن يهنؤوا في حياتهم بالكره الذي يأكل قلوبهم، ولا في آخرتهم بالنار التي ستأكل أجسادهم.

هكذا هي الدنيا وهكذا هم البشر.

* * *

بعيدة المنال أنت كالحلم السراب، قريبة الرؤية كالشمس الدافئة.

أيا قدس ألم يحن لنا اللقاء بعد؟!

أيا قدس ألم يحن لجراحك أن تضمد؟!

أيا قدس ألم يحن لأبناء العروبة اليقظة؟!

أيا قدس لك الله

فكيف باللقاء بك يا جنة وقلوبنا يكسوها الران؟!

أيكافأ العاصي بجنة؟!

أيا قدس لك الله

فنحن أطباء شهادة لا خبرة

فكيف لتلك الورقة أن تضمد جراح أمة وتنقذ أرواحًا؟!

أيا قدس لك الله

فأبناء العروبة أين هم من تلك المساجد الفارغة والمصاحف المكساة بالرماد والنساء الكاسيات العاريات والعيون المنصبة تجاه ما حرم الله؟!

أين هم أبناء العروبة يا قدس؟!

كيف لأب لم يرع حق الله في حرمة بيته أن يغير عليك يا عروس الأمة؟!

وكيف لابن عاق لوالديه أن يصونك ويتخذك زوجة؟!

كيف للعوب أن يظفر بذات الدين؟!

لا تظني أن ذلك نداء كما يظن علماء النحو والبلاغة بالبعيد....

فأنا أناديك بنداء البعيد عن الرؤية ولكن محفور حبه في القلب، فالجنة بعيدة عن أعيننا ولكن جوارحنا تشتاق لها، وقلوبنا معلقة برؤياها.

* * *

كنت زهرة في بستان قلبك قطفها فاهك عندما قال أحبك، فذبلت أوراق العفاف واحدة تلو الأخرى فهلا أغدقت عليها بالصمت العفيف ورويتها بالتوبة كي لا يتبقى من ذبولها سوى شوك يشعل فينا نار سخط الرب؟!

* * *

ما بين اللحظة واللحظة تتصاعد أرواح إلى بارئها وتخلق أرواحًا في الأرحام فلا تيأس، فالحال بأمره سيتبدل في طرفة عين، والحزن الدائم سيندثر، والقلب الداكن سينير، والعقل الضال سيهتدي، واللسان المبتور عن الذكر سيرده الله، والعين الجدباء ستبكي من خشية الله.

كل المعضلات بأمره ستباد فلا تنخدع بالظلام الداكن، فبين طياته نور سيقشعه ففروا إلى الله.

* * *

يعترف القلم ببشاعة حبره..

فأبت المحاة قوله وهمت بأن تمحو ما خطه

فتمزق القرطاس لرداءته

فعلم القلم أن العيب ليس فيه؛ بل فيما اختاره ليدون فيه

هكذا هو حالنا عندما نجبره على الغوص في الأعماق دون أكسجين

وأيضًا كحال سمكة حكم عليها التسلق إلى أعالي الجبال

عدم تحقيق الأحلام ليس عجزًا منك؛ بل تخطيط خاطئ واستسلام سريع.

"لكل منا مجال يتميز فيه.."

فصعب أن تتميز في جميع المجالات

فالطير يتميز بالطيران وتحليقه بين الأغصان

لكن سيصبح عاجزًا إن حكمنا عليه بالغوص في أعماق البحار

لا تقل إني فاشل عاجز ليس مني رجاء

فلو بتلك الكلمات لظل العالم إلى الآن ظلامًا حالكًا

فأديسون حكم عليه الكثيرون بغبائه وعجز تفكيره

تميزه لم يكن عندهم؛ بل فيما اخترعه

لم يجعل كلام المحبطين قبرًا ليدفنه

بل جعل من تلك الأحجار المؤلمة سلمًا وصعد للتميز

...عافر.. ثم عاافر.. حتى تترك أثرًا يبنيك

تأخرك قد يكون سر تميزك

لا تستسلم أبدًا ما دام قلبك ينبض....فأنت لم تخلق سدى

* * *

إن جاروا عليك جميعًا فلا تبتئس، فعند الله تجتمع الخصوم، وسيسلب منهم حق كل مظلوم، والآن انفض عنك كل الهموم، وتوكل على الحي القيوم، الذي يراك حين تقوم لإخفاء دمع عينك ونزيف قلبك بالضحك المكلوم.

أتظن أن حقك مهضوم؟!

لا وربي إن الله يمهل ولا يهمل، فبشراك أنك أنت المظلوم.

* * *

أنت الملاذ الذي آوي إليه بروح متعبة فأشفى كيوم ولدت.

* * *

تبسم، قد يكون القلب مكتظًّا بالآلام أو صدمات خذلان، قد تكون العين لا تنام ومختنقة بدموع ضلت طريق سيلانها، لكن تبسم، لا يعني الابتسام أنك متبلد من مشاعر الألم، ولكن تبسم ثقة بأن كل مر سيمر، ولن يبقى لك سوى عظيم الأجر لصبرك وحسن ظنك بأن ما ضاقت إلا لتفرج وما خذلت إلا لتعوض وما تألمت إلا لتداوى بدواء الجبر الذي لن تسقم بعده أبدًا.

فتبسم...

* * *

هجرنا لكم ليس سوى استجابة لمقولة الفاروق عمر "اعتزل ما يؤذيك" وقد آذيتمونا حتى فاض بالفؤاد فلمَ تعاملونا وكأننا نحن من صب عليكم الأذية صبًّا؟!

* * *

أزهار نحن نذبل عندما يهملنا بعض في الظاهر، وفي داخلنا هم الجميع، وننضر مثلها عندما نرتوي منهم اهتمامًا يجعلنا نزهد في العالم بهم.

فهلا تركتم الهجر وآويتمونا إلى قلوبكم وأغدقتم علينا من عبق الاهتمام؟!

* * *

لا تحزن إن خذلوك يومًا، لا تحزن إن أجبرك هجرهم لك على كتمان آلامك.

لا تحزن على تلك المآسي والآلام التي حلت بك، لا تحزن على بعض الأحلام التي تعلق بها القلب والعقل ولكنها ضلت طريقها فلم تصل إليك، لا تحزن على الأسقام التي توالت عليك، لا تحزن على كل ذلك فأنت مأجور عليه من الله ومثاب لصبرك ومطهَّرمن آثامك.

فما يستحق أن تحزن لأجله هو ما فرطته في جنب الله

* * *

قد تعترينا نوبات من الضحك وأخرى بكاء وأخرى صمت، نوبات تلو الأخرى في آن واحد، وما السبب وراء ذلك؟! أسرار وذكريات

وأحداث تدور بين العقل والقلب لا يعلمها سوى مسيرهما، فاعتزل حينها من حولك واركض بقلبك وعقلك إلى الله.

* * *

تفتحت أعيننا في الحياة وهي مدركة أن الأخت هي من دم واحد سواء أكان من أب أو أم أو كليهما.

لكن عقولنا حينها فهمت الكلمة بمعناها، ولكنها عجزت عن الرؤية الحقيقة التي تواريها حروف الكلمة.

فاللام والألف للتقرير بالحقيقة المنكرة

الألف جاءت مبتدئة الحوار الذي غفل عنه الكثيرون

والخاء خوف يسكن الفؤاد على ألا يصيب مكروه

والتاء تآلف أرواح أبعدتها شرايين وأوردة تسري بها الدماء

كثيرًا ما نقرأ أو نرى شُجُرًا بين الإخوة برابط الدم

ونعجب كثيرًا كيف آل حالهم إلى ذلك وهم أبناء رحم واحد

ومن العجب العجاب تلك المقولة "لقد ولدت من رحم الحياة أخت لا يجمعنا رباط الدم؛ بل تآلف الأرواح"

فهنا يتولى القلب وظيفة المحاماة ليدافع عن كلمة أخت كي يبرئها بأنها ليست للأشقاء فحسب؛ بل هي ملك لكل اثنين تآلفت أرواحهما وسكنت مضغة كل واحد منهما في جوف الآخر، فأصبح أحدهما النبض والآخر السكن.

* * *

أهناك ألم جميل؟!

هل يمكن للألم والأمل أن يجتمعا في آن واحد؟!

إذا أعدت ترتيب حروف الألم ستحصل على الأمل، فهذا يجيب بالإيجاب على ما سبق.

فالألم الجميل هو حين تجتهد وتذاكر وتسهر لياليَ طوالًا مضحيًّا براحة ونوم من أجل حلم محمول برحم قلبك منذ الصغر.

ألن تتحمل ألم الولادة لكي ترى ذلك الحلم بين يديك وعينيك؟!

الألم الجميل هو ذلك النجاح الذي أقسم الجميع لك بعجزك عن تحقيقه، ولكنك أبدلت باء البكاء إلى ميم المراد، وأبدلت كاف الكسل إلى تاء التضحية، وأصبحت صاحب المعجزة.

ألم يكن حينها الألم جميل؟!

* * *

يقومون بالمكائد لكسر أجنحة الطائر البريء لإسقاطه في بحر الخطايا، وما إن يغرق حتى يعايروه بجرمهم.

* * *

كن راضيًا قلبًا لا قولًا

فالقول كلام زائف والقلب نبض جازم.

* * *

عندما يكون الحديث عن الأم تسكن الجوارح للتلذذ بهذا الحديث كرضيع كان يتضور جوعًا فسكن صراخه كي يتلذذ بطعم الحليب....

عندما ينطق الفاه بأمي

تخشع العين في آيات جمالها التي إن جمعتها لن تحصي لها عددًا

ويجثو القلب على نبضه كي يعلن لها الحب الذي لن تجد له مددًا

وتزول تجاعيد الحزن التي تكسو الروح معلنة أن الحياة بعثت في حضن أمي أبدًا.

أينما توجد الأم يولد الحب

ليس الحب الشائع بيننا الذي يتألم به محبوب لمحبوبته أو يذرف دموع محبوبة لمحبوبها.

ليس هو الحب النابع بألم؛ بل هو الحب المولود من رحم السعادة والأمل.

والآن دع عنك تلك المقدمة فنحن الآن في صدف الحقيقة.

ألا يستحق البكاء علينا بسبب تلك الأوجاع التي ارتكبناها فذرفت لها دموعها؟!

ألا يستحق البكاء علينا بسبب قساوتنا عليها التي جعلت من الوسادة حضنًا لها يزيل آلامها؟!

ألا يستحق البكاء علينا بأننا أغضبنا المولى بعصيان أمرها؟!

فبأي حق نستحق لفظ فلذات أكبادها ونحن لم نكن سوى وجبات وجع لقلبها

بأي حق؟!

هناك منا من سيقول لا وأنه مبرأ من تلك الاتهامات ولكن

دع تلك الأسئلة هي التي تجيب بالحق

كم مرة طلبت منك مغادرة رفقاء السوء وأنت صرخت بها عاليًا لا شأن لك بي؟!

كم مرة ذهبت إلى دروسك آملة بمدح لك ولكنها لم تجن سوى كلمتين "ابنك فاشل، ابنتك فاشلة"؟!

كم مرة طلبت منك أداء مهام المنزل عوضًا عنها لمرضها ولكنك لم تبالِ وصرخت بها قائلة لمَ أنا؟! لدي مذاكرة كثيرة وأريد أن أدرس ولكن لم يكن حينها سوى رواية على جوالك تقرأينها؟!

كم مرة طلبت منك أن تضعي ثيابك في أماكنها بانتظام ولكن العناد يسري في دمك فتلقيها أرضًا وتعلمين العقوق؟!

كم مرة طلبت منك أن تهتمي بعلاقتك مع الله وأنت تقولين لها ليس الآن، دعيني أتمتع بشبابي مثل الأخريات، وعندما أكبر سألبي لك النداء؟! هل تضمنين عمرك من الفناء؟!

كم وكم وكم من الكلمات التي لا حصر لها!

أما زلتم تقولون لا؟!

أرى رؤوسكم أصبحت منكسة، أهذا ندم؟! أم إقرار بالخطأ؟!

إن كان كليهما فقد حان وقت الاعتذار

قفوا جميعا إجلالًا لحضرتها

قفوا نعلن أسفًا لها على ما صدر من حماقات أدمت عينيها وقلبها.

أمي

لا يعفو أحد عن ذلات الآخر ولا يسامح أحد منا ألمًا غرسه آخر به "إلا أنت".

فلست أحدًا أو آخر؛ بل أنت الحاضر في واقعه الجميل، والماضي في عبرته والدليل والمستقبل في أمله الجليل.

أنت التي خلق الله لقلبها العفو والسماح

فهلا عفوت عن مساوئي وأخطائي؟!

فأنا المحب الذي خانه تعبير حبه لك ليس جهالة بل جهلًا

أنا المحب الذي جثا قلبه على ركبتيه معلنًا حبه فهلا عفوت عنه وقبلتِ عذره؟!

* * *

من يدنيك من النار بيديه وفاه لا تنعتيه بالحبيب؛ فالحب مسلكه جنة لا نار.

* * *

ليس ما يؤلم تسارع النبض خنقًا أو تعبًا، أو ذاك الثقل الذي يفتت الصدر ويسحب الروح؛ ولكن الألم في قلب ينزف دموعًا وعين لم تعد تعلم ما هي الدموع وكأنها قد جدبت..

* * *

يخبرك الدهر بأن مخزون العمر يدنيك من الموت يومًا بعد يوم.

* * *

إن أصابت سهام الوجع صخرًا لجعلته فتاتًا، فما ظنك بأثرها على القلب!!.... رفقًا به.

* * *

ما دام القلب يشكو من فساد صاحبه فالعين لن تبصر طيف الحرية.

* * *

أيها الراحل عن الديار أأباح لك القلب الرحيل؟؟

أيها الراحل عن الديار أتعلم أين وجهة السبيل؟؟

أيها الراحل عن الديار أسترك هنا جسدك فقيدًا عليلًا؟!

دع عنك الجواب فالعين أبصرته، ولأجله القلب ثكل نبضه، والجسد شارف على الهلاك.

أتعلم؟!

لم أكن أومن بالموت وما زالت الروح على قيد الحياة، ولم أومن أيضًا بأن المعني ونقيضه سيتبادلان الأدوار في عقل رجل واحد، فيغرسان نطفة لإكمال مولود سماه بالشخص الجديد

أتعلمين يا نفس أن الاشتياق لك أليم؟!

فالفارق بينك وبين الذات الجديدة كالفارق بين النعيم والجحيم

لم أتمنَّ يومًا أن ترحلي؛ فأنت الرفيق في المهد، وأنت الفطرة السليمة التي أودعها الله منذ الميلاد وحتى الرحيل

فلمَ الآن ترحلين؟!

أقسى عليك الحبيب والغريب؟!

أزاد عليك الكرب واضمحل نور الأمل؟!

أم إنك تهربين من واقعك بالرحيل؟!

أم إن الجرح كان من جسدك وعقلك اللذين أخضعاك للاستسلام والعويل؟!

أأنا كنت السجان وعند الضعف كان الرحيل هو الانتقام؟!

أتعلمين واجهة الطريق؟! أتستطعين العيش وأنا عنك بعيد؟!

أتستطعين الضحك وأنا في بعدك حزين؟!

أتستطعين التلذذ بالطعام وأنا من الفراق أتضور ألمًا من الجوع؟!

أتستطعين الحركة بمفردك؟! ونحن من خطونا أول الطريق معًا؟!

أتستطعين الإقامة في قلب جديد وأنا في الدار وحيدًا كاليتيم!؟

إن كان الجواب بالإيجاب فالإيجاب في الطب يعني الفناء.

* * *

لا يغرنك متاع الدنيا، فالقبور يسودها الهدوء، ولكن لا نعلم أهذا الهدوء نعيم أم أليم.

* * *

أسمعت يومًا عن لعنة تطاردك في نومك لمجرد سكوتك عن الحق؟!

أسمعت عن لعنة لا تجرف صاحبها فقط؛ بل كل شيطان أخرس؟!

لن تنتظر سماعها فمبارك لك إصابتك بها، فكيف لك الشفاء منها؟!

و هنيئًا لك فقد انحسرت في عالم لطخ بالدماء، واستباح قتل الأبرياء، فكيف لك الآن بالفرار؟!

قال رسول الله ﷺ: (من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)

كان الرسول ﷺ يقول: خير الأعمال أدومها وإن قل

كان يقصد حينها التدرج في الطاعات، ولكننا أخذناه مبدأ في أمور الحياة

فأصبحنا نزهد في الحرية مقابل قوت يوم، ونزهد في العلم فيكفي تعلم المرء القراءة والكتابة، ونزهد في الدين فيكفينا تأدية الصلاة، وإن زاد بنا الإيمان فالسنن الرواتب وصيام النوافل

وزهد باطل وراء الآخر، أصبحنا عونًا للشيطان لإفساد بعضنا البعض حتى آل بنا الحال إلى أن نزهد في مكابحة المنكر، فأصبحنا نكتفي بألم القلب ونزيفه ونترك الأيام طبيبًا له يدوايه مرورها وكأن شيئًا لم يكن فأصبح الحال هكذا...

إن رأينا منكرًا نستحقر صاحب المنكر وإن رأينا ظلمًا أوينا إلى السير بأجساد تكاد تمتزج بالجدار من الذعر والخوف على ألا يصيب النفس مكروه، وإن زار السجان عزيز علينا قطعنا حبال الوصل كي لا يصيب رب الأسرة مكروه

وإن عاتبنا قالوا ولمَ العتاب والجميع في رد الفعل سواء

يتحججون بقول: إن نهض الجميع سنتكاتف معًا ولكن من أين الجميع والفرد بات ضائعًا

كيف لحزمة الحطب أن تتكون وكل حطبة منعزلة بنفسها تخشى الانكسار

ألا تعلم أن ذلك يقرب منها الأجل؟!

أهذه الدرجة أصبحنا لا نرى من الحديث سوى تغير المنكر بالقلب؟!

أمواقع التواصل الاجتماعي أصبحت هي القلب؟!

أتغيير الصورة الشخصية وبعض المنشورات هي منفذ لأوجاع قلبك؟!

أين الفرار إلى الله؟! أين الالتجاء له؟!

جميعنا لا ننظر إلا لعيوب الغير، ونؤمن بقوله تعالى: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"

فأين نفسك وقلبك من ذاك التغيير؟! لقد ارتضيت بأضعف الإيمان فماذا فعلت لتحقيقه؟!

أأويت إلى الله بضعف وجبال الآثام كي تمحوها توبة؟!

أأصلحت فساد قلبك من كل حقد وكره وخوف لغير الله؟!

أداويت أمراض قلبك بأداء الصلاة في وقتها وعلى أكمل وجه؟!

أتحصنت بالسلاح الذي لا يقهر ألا وهو حفظ كتاب الله قولًا وعملا؟!

أنفكت عقد المشكلات بينك وبين أهلك وجيرانك وأصبحتم عصبة اعتصمت بحبل الله؟!

لا تضحكن على النفوس بقولكم "قلوبنا تنزف ألمًا لعجزنا، فيكفي أن الله يعلم رفضنا هذا الظلم" فالقلب متبرئ منكم، فهو لم يرَ منكم سوى ترقيعه بالآثام، فلا تقولن إننا ارتضينا والتجأنا لأضعف الإيمان.

* * *

عيون متجمدة، متصلبة النظر على الحوائط الأربعة، ظاهرهم جدران، ولكن الأصل هم سراديب من الحكايات والأسرار، وما يزيد من رونقهم أنهم أصدق أربعة أصدقاء سيمكثون معك حتى رحيلك، أتصدق عنهم ذاك الوفاء؟!

ليسوا جمادًا كما يسيئ البعض لهم؛ بل أمًّا تحتضنك كصغيرها حماية من البرد القارس، تقسو عليك حينًا عند ضعفك بتسرب البرد لقلبك ليرتد إليك بصرك وبصيرتك كي لا تصير ضحية يتلاهف الجميع على نحرها في عيد أحزانه.

لذلك لم يخلق الانطواء إلا ليربط على قلبك السلام وتنفك عنه عقدة الخوف.

يقال كثيرًا إن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه

وأيضًا الإنسان كائن متكلم، وليس من طبعه تعيين الصمت حاكمًا له

قال المصطفى ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت" وهكذا إن كانت الاجتماعية خصبة فأزهر فيها، فإن بخلت عليك فالانطواء حينها خير، وإن تعاظم الأذى ممن حولك لك أو التردد في تكوين صداقات أو اضطراب القلب خوفًا من الاقتراب من شخص أو بصيرة قلبك تجاه أحدهم بأنه منافق لك ويطعنك من ظهرك، ولكنك لا تستطيع المواجهة، إن تكاثر على مسامعك ثرثرة ممن حولك

لإحباطك إن رأيت من يطفئ مشاعل الحماسة داخلك، فالجأ مطمئن البال إلى من يربط على قلبك بالطمأنينة، ألا وهو الله، فاتخذ من الانطواء والعزلة مع الله صديقًا لك.

فلا خير في عدد غفير ينتهكك حتى الفناء، وبيدك اللجوء إلى رب يداويك ويعيد ما اغتصبه منك الآخرون.

* * *

كثيرًا ما يراودنا فضول اكتشاف خبايا القلوب لكل عابر.

فنتأمل قسمات الوجه ولمعات العين ورسمات الثغر وحركات اليد العشوائية والكلمات المتفوه تلقائيًّا، وكأننا اعتزلنا مهام الحياة والتحقنا بكلية الفضول ودراسة أسرار المارة.

أهذا ضحكاته زيف أم مجاملة لمداراة الوجع؟! وهذا تحوي عيناه دموع أمل ستنهمر بالفرج، أم إنها دموع ألم أبت الانهمار حتى لا ينخدش الكبرياء، أو كما يقال الرجال لا يبكون؟!

وتلك النظرات المصوبة تجاه الجوال أهي انتظار رسالة حبيب؟ أهي شوق سيرويه رنين الوصول؟ أم إنها حسرة لزوال ذكراه من فؤاد الحبيب وأن الرنين قد قتل بسيف الفراق؟!

والصاحبان اللذان تكاد ضلوعهما تتحطم وأرواحهما تمتزج من الاحتضان، أهذا صدقًا اشتياق؟ أم إنهما يتشاركان أحزانًا يعجز عن ذكرها اللسان؟! أم إنه حضن سيلدغ به أحدهما الآخر في ظهره؟! وهذا الذي يعزل أذنيه عن ضوضاء العالم، أأصيب بخيبة كذب قطعت أوصال السمع عن كل كلمة زيف فلجأ لذلك الاعتزال؟! أم أصبح فؤاده فارغًا فأراد أن يشغله بمسكنات من الأغاني ظنًّا أن بها راحة ومداواة؟ ولكن أيعلم أن هذا سيصيبه بمرض يلتهم عمره ويلقيه في وحل الذنوب؟!

بربك ألم تسمع قوله تعالي: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ " فالأذن لا يرويها غناء سيصهر الأذن ويشبعها بماء صديد؛ بل قرآن يجلو كل ما هو مؤذ وبغيض.

وهذا المار منكس الرأس لا يرى سوى الأرض وما يعتريها، أمنشغل بأمور ترهق تفكيره أم ابيضت عيناه من الحزن فيتحسس الأرض بقدميه على ألا يتعثر.

والآخر الذي اصطف حوله الناس إعجابًا بجمال صوته وصدق شعوره بما ينشد، أهذا الصدق من داخله أم إنه مستعار ممن حوله؟!

وها هو الفضول يخط ما في جعبته بأن لا أحد يصدق في مشاعره، فالجميع يظهرون خلاف ما يضمرون؛ حتى لا تصيبهم شفقة أو غدر أو يظهروا ضعفًا، فليس قاسي اللسان قاسيًا قلبه، فلربما يواري وراء قسوته ضعفًا يأبى انقشاعه، وآخرون قد يكون هذا الزيف من أجل النفاق وتحقيق مكاسب فلا تلقِ بالًا، ودع الخلق للخالق، فهو عالم بالنوايا ومداوٍ للقلوب.

* * *

صراخات مدوية تنفذ من الجدار وكأنها قابلة للنفاذ خلاله

تعلن صعود روح أحدهم إلى خالقها معلنة مرافقة الوداع

ولكن أكل وداع مرهون برحيل آخر؟!

آلوداع يجلب معه ضمور الروح وإعاقة الشعور؟؟

أكل وداع مذموم في ذاك العالم؟!

أقتل نفسي القديمة والذكريات اللعينة وتشييع جنازتهم ووضعهم في اللحد جرم؟! أم إنها وادع مباح؟!

قال الفاروق يومًا: "اعتزل ما يؤذيك"

لم يلفت انتباهنا حينها سوى ترقب الأذية ممن حولنا حتى نمحوهم من كتاب نسجنا حروفه معًا، ألا وهو العمر.

ولكن أيعقل لرب بيت أن يحمي مخارج بيته وابنه يشعل البيت نارًا من داخله؟!

الأذية أمرت باعتزالها، ولكنها ليست من سواك لذاتك؛ بل منك لك

نفسك التي تفرض عليك الخضوع لأوامر غيرك، وتقتل بفعلك هذا ثقتك بذاتك.

عقلك الذي ينتشلك إلى ذكريات تقتل كل انفراجات الخير في حاضرك يجعلك ضحية تنتظر خبر نحرها.

عينك التي أصيبت بالعمى وجعلتك تمد يدك لكل عابر كي يعبر بك إلى بر أمانه، ويلقي بك في غيابات الجب.

قدمك التي قادتك إلى طريق رسمه غيرك لك وكأنك حمار يساق.

فمك الذي ينطق كلمات يثرثرها غيره وكأنك ببغاء تردد حماقات.

نفسك، عقلك، عينك، قدمك، وفمك، أقم عليهم الحد، وزف إليهم بشارة الوداع، فهم بذلك داء يدنيك من القبر.

كل ذلك ولد من أجله الوداع، فرحيل الداء ما هو إلا دواء، أعلمت الآن يا رفيق أن الوداع مباح؟!

فاحمل نعش مساوئك بميلادك الجديد، وضعها في اللحد، ودثرها دون ذرف دموع، فلا حياة لأذى يتجرعه موجوع.

* * *

تناقلوا، تناقلوا في زماننا نبأ انقراض الصديق

وكأنه زمان سكنه النفاق وحل بالنفوس الضيق

وهذا من أجل فقدان معنى الصديق

أأصابتك خيبة؟! أم تجرعت ألم الخذلان؟! أم نزف قلبك برحيل أحدهم إلى دار المقر؟! ولكن أنت في دنياك، فأين المفر؟!

أسمعت ما يدميك من صديق؟! أم ألقيت في ضباب الطريق؟!

لا تجزع... ولا تطوِ صفحات الماضي قبل انتقاء الدرس المفيد..

كثير منا يصاب بصداع في العقل وصدوع في القلب عند ذكر الصداقة، وكأنها خبيث يخشون الإصابة به، إن كانت ذكراها تدميك فأنت لم تصادق قط

ومن مروا بحياتك ليسوا أصدقاء؛ بل عبر ودروس...

قال المصطفى ﷺ: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل"

فليست الصداقة كلمة عابرة تعزفها أوتار الأذن، وليست معزوفة يلحنها نبض القلب...

الصداقة سيف حاد النصل، فارس بلا ممارسة، فقيد الشجاعة سيكون ضحية لذاك النصل... وفارس مقدام نبضه صوت الرماح، وسكنه ساحات العراك، سيشهر ذاك السيف ملطخًا بدماء النفاق...

الصداقة هي حب يجمعنا في رضا الله

قال المصطفى ﷺ: "سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله".. ومن بينهم رجلين تحابا في الله.

الصاحب ليست حروفًا مجمعة؛ بل دروس منتقاة وموجزة في كلمة.

الصاد: صدق الحب في قلب الصديق لصديقه.

الألف: القرآن نور لكلينا في طريق عتمة، وشفيع لكل منا عند الآخر عند الإساءة.

الحاء: حياتنا ليست نزوة عابرة؛ بل طريق لجنة تجمعنا سويًّا.

الباء: براءة قلوبنا من كل ذرة كره أو كبر.

فلا تلومن الصداقة بكل عابر في حياتك، فالعابر راحل، والصديق ملازم لك في دنياك وآخرتك.

* * *

من قال إن الكفر سب؟!

الإيمان والكفر نقيضان، ولكن ليسا مقتصرين على الأديان.

الكفر صفة ينعت بها من خالف الفكرة والدين وليس بالأخص دين الإسلام

قال تعالى: "فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ"

فالكفر صفة ينعت بها أيضًا المسلم؛ لأنه مؤمن وكافر في آن واحد.

لا ترسم العجب على وجهك فهذا أمر جهلنا عن فهمه

فالمؤمن: هو من آمن بفكرة أو دين

لذلك نحن آمنا بالله وحده لا شريك له.

والكافر: من كفر بفكرة أو دين

لذلك نحن كفرنا بتعدد الآلهة وكفرنا باتباع الشيطان.

قال تعالى: "فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ"

دين الإسلام دين سلام.

السين: الناس سواسية في المعاملة.

اللا: أمرنا ألا نجبر من كان على ملة غير الإسلام.

الميم: دين محبة لم يجبر أحدًا على اعتناقه.

قال تعالى: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ"

الإسلام سلام من كل أذى لفظي، فلم يسب يومًا من خالفوه على دين آخر؛ بل دعاهم في القرآن بأحب أسمائهم "يا بني إسرائيل، يا أبتي، يا قومي، يا بني، قوم صالح، قوم هود"

كل ذلك دليل على سماحة الإسلام، فلفظ كافر لم ينطق كسبٍّ؛ بل صفة، فبربك أهذا دين نشر بالسيف؟!

* * *

أُمِرَ بَنِي آدَم بِغْض بَصَرهم عَنْ مَحَارِمِ الله
وَأُمِرْت بَنَات حَوَّاء بِسَتْر أجسادهن مِنْ عَيْنِ كُلِّ مريض

وَأُمِر كِليهمَا بِألَّا يَكُونَا فِتْنَة، قَالَ الله تَعَالى: "إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ"

فَلا يلقِي طَرَف الْخَطَأ كَامِل الْخَطَأِ على الْآخَر، فكلاكما فِي الْخَطَأ سواء

فَلَن يَشْفَع لَكَ كَوْنهَا كَاسِيَة عَارِية على إطْلَاق بصرك

وَلَن تشْفَع لَكِ جَرَائِم الاغْتِصَاب وَزِنَا لِسَانَهُ على تحررك مِنْ لِبَاس العفة

قَالَ تَعَالَى: "وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا"

كُل مِنْكُمَا مُحَاسَبٌ على أَفْعَالِه وتجرؤه على انْتِهَاك مَا حَرَّمَ الله، بَل سيزداد وزركما فكلاكما كَانَ سَبَبًا لِزِيَادَة فِتْنَة.

* * *

لقد قحط القلب وجدبت الروح، فأصبح كلاهما كالصحراء فهلا رويتهما بالقرآن؟!

* * *

ولدنا ذكورًا وإناثًا ليس هباء، فلا حياة لنصف دون الآخر، أعلمت الآن لمَ القلب يصرخ اشتياقًا عند لقاء كلٍّ منا الآخر؟!

الحياة خلق لإعمارها من كل زوجين اثنين

فآدم لم يخلق وحيدًا، بل خلقت حواء من أجله، فلا حياة للنصف

لذلك خلق كلانا لإحياء الآخر هلا سمعت عن إنسان حي بدون روح أو روح بلا جسد؟! كلاهما بدون الآخر أموات، هكذا أنت وأنا.. نصفي لنصفك اكتمال حياة.

يتردد كثيرًا على ألسنة العشاق "البعيد عن العين بعيد عن القلب" كذبوا فيما يدعون فهذا عشق جسد ليس حب أرواح.... فإن كان ذلك حقًّا فكيف تموت الروح مع الروح؟! وكيف نحب أجسادًا وارها التراب ونفقد معنى الحياة في غيابهم.

فيا أيها المحبون، بعيد العين ينبض القلب بحبه آملًا في اللقاء.

وأنت يا من له مضغة سكنت جسدي

قد خلقنا جسدين بروح واحدة، فإن أصاب أحدنا الموت رافقه الآخر لذلك أحببتك روحًا، فإن بعد بيننا اللقاء فلا بأس فالعين تراك في كل عابر، والأذن مسمعها أنغام صوتك، والقلب ينبض بك، واليد دفؤها أنامل تخط حروف الحب لك، فاطمئن فلا معنى لنصف يتيم

الحب والنصف، ولكن يا نصفي هلا عجلت اللقاء بنصفك ليحيا قلبي بنبضك؟!

* * *

الأصدقاء جزء لا كل، ولكن سيضار الكل بفقدان الجزء

* * *

غضضت بصري عنك ولكن قلبي لم يغضه عنك، فهلا عفوت عن ذنبه.

* * *

خلقنا جسدين بروح واحدة، فإن أصاب أحدنا الموت رافقه الآخر.

* * *

لم ولن أجد دواء يضمد الجراح سريع المفعول سوى تلك الابتسامة المنبعثة من روحك لأنها حياة لمن لا حياة له.

* * *

لَمْ يُخْلَق شَيء إلَّا وَلَازَمَه نقيضه

لَيْسَت مصادفة بَل لتتشابك فَتُبْرِز لَنَا حِكْمَة إلاهية

خُلِقَتْ الْمَلَائِكَة ولواؤها الْخَيْر، وَخُلِقَت الشَّيَاطِين ولواؤها الشر

أبربك هَلْ كُنْت سَتَعْرِف قِيمَة الْخَيْر بِانْعِدَام مِيلاَد نَقِيضِه؟!

وَهَكَذَا لَمْ تُوْلَد السَّعَادَةِ إِلَّا مِنْ رَحِم الألَمِ والحزن

أفتبتئس وتُجْهِض ذَلِك الْمَوْلُود؟!

لِمَ تَشْكُ بَثَّك وَحُزْنُك مِن تَعَابِير وجهك، أَلَّا تَعْلَم أَن الْوَشْم حَرَامٌ؟!

لِمَ تُنَافِي غريزتك الَّتِي خُلِقَت بِهَا، فَأَنْت مُسْلِم سَلِمَتْ مِنْ كُلِّ سُوء فَكُلُّ أَمرك خير.

لَم تزُرك الضَّرَّاء إِلَّا لتطهرك مِن بُخْلِك بِالْحَمْد حتى تُحْسِن إِكْرَام ضيْف، اِشْتاقَت لَه أَوْصَال قَلْبك وَدُمُوع عَيْنك، ألا وَهو السَّرَّاء فَهَلَّا أَكْرَمْتهَا بالشكر.

وثغرك لِمَ تقَيُّده بأغلال الْبُكْم وَسِنَان الْيَأس والحزن

أمِن شِيمِ المؤْمِن الْيَأْسِ مِنْ رَوْحِ الله؟!

تَبَسَّم رغم الْآلَام فَلَم يُخْلَق فاهك إِلَّا لِكَسْب حُبِّ بَني الْإِنْسَان وَالرِّضَا بِمَا قَسَمَهُ اللهُ لَك فَمَا أَعْظَم ما قِيلَ عَن البسمة! "تبسمك فِي وَجْه أَخِيك صَدَقَة"

فالصاد: صِدْقُ الِامْتِثَال لِأَوَامِرِ الله عَنْ طيبِ خاطر.

وَالدَّال: دَوَاء لِكُلِّ عَلِيل الْقَلْبِ والبدن.

وَالْقَاف: قِتَال بَيْن شَهَوَات نَفْسِك لِقَتْل أَمْرَاض قلبك

وَالتَّاء: تَتْويج لَك أَيُّهَا المسْلِم لانتصارك على صراعك فِي نَيْل رِضَا الله

فَتَبَسَّم دَائِمًا وَأَبَدًا لَيْسَ مِنْ أَجْل غَيْرِك؛ بَل أَجْل قلبك

لَم أذق مَعْنَى السعادة فَهَلَّا قَبِلْتَ دَعْوَتِي يَا سيد حُزْن؟

* * *

فتاتي...

طهارة قلبك، عفته، وجمال عينيك، غضها عن الحرام، حفظًا لنصيبك المستتر، ولإنارة وحشية قلبك.

ودموع عينيك تتساقط خشية لله، لا من أجل دنيا فانية.

ونور وجهك قطرات ماء الوضوء تنقيها من الذنوب لا مساحيق الجمال.

فتاتي..

أناملك زينتها التسبيح والتهليل لا المعاصي حبيبتي.

أذناك مسكن أمنها سماع قرآن لا لهو حديث يفني العمر هباء.

وثوب العفة قصر لك يا أميرتي يرعاك من قلب كل مريض، ليس تعقيدًا أو تشديدًا يخدعك به من أصبحوا للشهوات عبيدًا.

أفيقي فتاتي هداني الله وهداكِ ورزقنا فرحة سماع "وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد"

* * *

تكتب أناملنا أحيانًا خلاف ما تضمر قلوبنا

ولكن حلقة الوصل بينهما العجز التام.

قد تضيق بنا الحياة وتتكالب الآلام والابتلاءات، وتنسكب تلك الكؤوس بجراحها إلى من يسكن قلبك، نود لو أن أحدًا بعينه يفهمنا دون أن نتكلم.. يترجم قلبه ضحكاتنا الغارقة في بحور الدموع... وكلماتنا المقتضبة الغارقة في بحور الآلام آملة بسؤال أشعر بك بكل حرف تخطينه كي ينجيها من الهلاك... يعلم أن كلماتنا القاسية تنبع من جراح تسكن فؤادنا...

إلى المجهول عن صراعات قلبي

قد تكون مجهول الهوية عن عيني

ولكن أتعلم أنك تسكن قلبي منذ ولادتي

صوتك يتردد كثيرًا على أوتار نبضي، وغضبك أسمعه في صوت الرعد في شتاء قارس

وحبك يتراقص على ألحان الجيتار حين يعزف محبوب لمحبوبته الضائعة

وعيناك نجمان يسكنان في السماء يمحوان عثرتي

وحين تلاقت عيناي في بحر عينيك خفق قلبي اضطرابًا مخافة الغرق، ولكن حين رأيت صفاء السماء رأيت منك ابتسامة أدركت حينها أنك المغرق والمنقذ في آن واحد، فتركت لقلبي العنان للغرق في بحر حبك.

قد كنت عمياء قبل لقياك فهلا رددت لي بصري؟!

* * *

نزعوا حبنا من صميم قلوبهم؛ لأننا تركناهم في كربهم، فأين كنتم في كربنا الذي استنزفنا فلم نعد نستطيع البقاء مع أحد مهما كان، فكيف للظلام أن يكون سراجًا؟ القلب لم يرد حينها إلا مسكنًا يأوي إليه نبضه

ليستريح بين جدرانه الأربعة (دفء يد، بلسم حديث، استماع أذن، حضن عين)

أحرام عليه حلال للغير؟

* * *

وراء كل وجع درس، وكل درس فائدة، وكل فائدة تغيير، وكل تغيير تقدم، وكل تقدم تميز، وكل تميز رضا، وكل رضا راحة.

فلا تبتئس بأوجاعك فهي بذرة لثمرة راحتك.

* * *

أحقًّا لن تراك عيني مرة أخرى؟!

أم إن هذا كابوس؟! نعم هو كذلك

فإني أنتظر صوتك لتوقظيني من هذا الألم

لمَ لا توقظيني؟ لا تتركيني، فإني أختنق، هل ستجعلينني أتأخر على صلاة الفجر؟ أين الماء ألن تسكبيه عليَّ ثانية؟!

لمَ لا تتحدثين معي؟ أما زلت تخاصمينني؟! هيا انهضي وعاقبيني على تأخري في العودة للبيت

ألن أسمع صوتك تنهريني على تلك الملابس الملقاة على الأرض؟!
ألن أتحصن بدعائك ثانية؟!

كنت أحمق عندما رفعت صوتي عليك، ولكنك تعلمين همجيتي وتعلمين أني أحبك، فكفى مزاحًا، هيا انهضي.

أتختبرين صدق حبي؟! هيا انهضي وأعدك بأني سأصلح حالي وأريدك بجواري فلا تتركيني.

لمَ يا أمي أنت ساكنة الجسد لا تتحركين؟ لمَ لا تأخذيني بين أحضانك؟ لمَ ذهبت وتركتِني؟!

هيا انهضي ولن أعصي لك أمرًا، وسأكون مطيعًا لك، هيا.

أتعلمين أنك عروس في ليلة زفافها وكالبدر في ليلة التمام

خذيني معك إلى دار الحق.. ولا تتركيني مكسور الجناح بين ذئاب تنهشني.. ألن تحميني ثانية؟!

لمَ لم يكن دعاؤك بفقداني لكانت المصيبة أهون.

لمَ الله استجاب دعاءك على ذاتك؟! ألهذه الدرجة تشتاقين إلى لقاء الله فصدقك الله؟!

كنت أحمق عندما تمنيت الحياة حرًّا لا سلطة لأحد عليَّ

لمَ لم تلطميني حينها حتى لا أتفوه بذلك الكلام عليل الحروف وجالب الشؤم؟!

أمي ليتك تعودين وأرحل عوضًا عنك

أمي لا أستطيع أن يغمض جفني دون رؤيتك ليلة، فكيف أقضي عمري بدونك؟!

أمي ليتك تعودين.

* * *

إلهي جئت إليك غارقة في الذنوب، فهل لي النجاة بميلاد جديد؟

* * *

لم تخلق الحرية لبني آدم دون غيرهم

فهي حق لمن يسكن أرض الله الواسعة من طير وحيوان وكل جميل يغرس السعادة في قلب بور.

فليس مباحًا أن نغتصب حرية تلك الأرواح البريئة، فهذا جرم غير معفو عنه إلا بتوبة نصوح

أنظن بكوننا الأقوياء أن الحق لنا باغتصاب السعادة من رحم كل من لا حول له ولا قوة..

أي قوة تلك التي تتحدث عنها؟!

منذ متى واحتكار حق الضعيف وحرمانه مستحقاته قوة؟

وأي دين يحلل للقوي أن يكون جانيًا بدون حساب؟!

أم إننا نظن أن المجني عليه ضحية بين ذئاب لا تعرف ماهية القوة التي حثنا عليها ديننا الحنيف فتنقض عليه؟!

فمعذرة يا سادة ليس القوي قوي المال والبدن

فالمال متاع زائل والقوة رزق فان

والقوة الحق من أجل نصرة المظلوم ونشر السلام وإعطاء كل ذي حق حقه، من طير وكل من بث له الله روحًا ليحيا في تلك الحياة.

فليس من حقنا بني آدم أن نبني سعادتنا بتقييد حرية فراشة تحيي الأمل في قلب يائس أو بسمة ترسمها على ثغر صغير.

الحرية روح إذا احتضرت انتهت الحياة

فلماذا نكون أشباح الموت لمن خلقهم الله زينة الحياة؟!

* * *

يا ليتها سكرة عابرة

فلسطين بعزتها شامخة

والعرب بجرمهم في هاوية، فقد احتضرت شهامتهم وإيمانهم، فهل بعد الموت حياة لهم؟!

ظنوا أن المال والجاه حياتهم والحقيقة أنهم في متاع الغرور

وفلسطين ما بها؟! أي سكرة تتحدثين عنها؟!

قلوبهم دار حق وعيونهم أرض الكفاح، وأيدهم خير من ألف رمح وسلاح

ويقينهم أن الله سيمدهم بملائكة تغنيهم عن ملوك العرب البلهاء.

أتظنين أن فلسطين محتلة؟! لا والله فقلوبهم مع الله

أما نحن فقد احتل الهوى والفجور قلوبنا، وعقولنا في أيادي أعدائنا خاضعة للذل؟!

فبربك أي سكرة فسلطين فيها؟!

تقولين إن العرب مثل أبيهم آدم؟!

كيف ذلك؟!

آدم أخطأ في حق نفسه وأنقذها بتوبة نصوح

أما هم قد رملوا نساء، وثكلوا أخريات وسرقوا حرية وطن

ومن يقف عزيز النفس يأبى الخضوع

متمرد عاص ينشر الإرهاب ويحث على خراب وطن

ضائع في حكم ولاة عصاة

يتفننون في صنع دين يليق بجرائمهم المنكرة، يقولون طاعة ولي الأمر من طاعة الله، أيضحكون على الله؟! يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

يا ولدي طاعة ولي الأمر فيما يرضي الله وليس فيما يرضي شهوات الملوك والأعداء

أعلمت الآن يا ولدي أنهم ليسوا أبناء آدم، هم مثله خلقوا من طين ولكن طين بطعم الذل والخس والخيانة والطمع، حتى تليق بنار تقحم أجسادهم ونفوسهم.

وإن صح أنهم أبناء آدم فهم من أحفاد قبيل

وهل الأب يعاقب على جرم ابنه العاق؟!

لك الله يا وطني.

* * *

ها قد وقف القلم عاجزًا عن تدوين ما يجول فيَّ من مشاعر

لا أعلم، أقد جف حبره؟! أم أصيبت مشاعري بداء العقم؟!..

هل أصبح الحب والبغض والفرح والحزن ذوي مذاق واحد؟!..

وإن حدث ذلك فلماذا يعجز اللسان عن كشف ماهية هذا المذاق؟!

أيعقل أنه قد أصيب بما أصاب القلب من بهتان مشاعر؟!

أهذه الدرجة كل الحواس نبضها القلب!!

فعيني أيضًا لم تعد ترى ألوانًا، فكل ما تراه هو ضباب أشباح متحركة

وكذلك أذني لم تعد تسمع سوى هسيس أصوات ولا تستطيع تمييزها، أهي أصوات فرح أم حزن، أهي دموع أم ضحكات؟!

يا له من بهتان لعين!!

فقد تفشى في الجسد كأنه خبيث أبى الضمور وأقسم بإلحاقه إلى عداد أمواته..

صدق المصطفى ﷺ حين قال "ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"

يا له من تواصل روحاني يغرس في نفس كل مسلم الثبات على دين الحق... فالابتلاء بذلك الداء ما هو إلا محنة تحوي بين ثناياها منحة تبرز مدى قيمة الطمأنينة والسكينة التي خص الله بها عباده المؤمنين...

فيقول البعض إن الإنسان ما هو إلا قلب وجسد، ولكن الواقع ينافي ذلك.. فالإنسان روح تبث الحياة إلى صاحبها، وقلب يفيض بالمشاعر.

فإن خسر جمال روحه أو أصيب قلبه بالغيض.. فباء وخسر ولم يجنِ سوى أنه قد فارق الحياة.

❋ ❋ ❋

بعد تلك الخواطر المبعثرة آن للنفس أن تتحدث بينها وبينها

- مازال العقل عاجزًا عن وصفك، أأنت بشر حقًّا؟

- لمَ تلك التساؤلات؟ ولمَ العجز؟ أنا واضحة كالشمس عند إشراقها، نعم أنا منكم.

- وضوحك هذا مغارة تساؤلات، فبربك كيف لك أن تشبهي زهرة وجبلًا وريحًا وبرقًا ورعدًا وهدوءًا ونورًا وحياة وغضبًا وضعفًا وقوة في آن واحد؟

- ما كل تلك التشبيهات يا عزيز؟ أنا بشر لست إلا.

- لا؛ بل أنت زهرة متوردة الوجه، إن تساقطت قطرات دمع من سحاب عينيك تكون كالندى تزينك وتجذب العيون تجاهك متعجبة، أي دمع هذا الذي يرطب وجهك؟!

وهيئتك كالجبل أقسم ألا يتزحزح عن أحلامه وكأنه غرس جذوره وجعلها تمتد لكل حلم ليمنحه غيثًا يروي بذوره إلى أن يحين وقت انقضاء المحنة وتجنين الثمار، وكأن سقوطك هذا ليس سوى انتصار خفي.

وصوتك رغم كونك أنثى إلا أنه رعد يرهب كل جبان يريد أن يلحق بك الأذى، فأنت تتحدثين بصرامة فارس، وحزم قائد أقسم ألا يموت إلا وهو منتصر.

وعينك تشبه البرق الذي يرعب نوره القلوب، فعينك كالسراج تضيء ليالي المحنة القارسة، تؤكد أن أحلامك واقع لا محالة، فيرتعد كخبيث قلب وعين، وتجعله يفعل أي سوء ليطفئك، ولكن أهناك برق يصل إليه بشر إلا وقد قذفه بالموت؟

وضعفك هذا ما هو إلا قوة بأن كثرة الهزائم سبيل لانتصار ساحق، فما توالت الهزائم إلا لزيادة العدة وقتل نقاط الضعف، لتبقى قوة لا مثيل لها.

- لقد نسيت الريح يا عزيز، فهي تمحو كل أثر رسم على الرماد، وعند شدته يدمر إلا شيئًا واحدًا، تلك الذكريات التي نقشت على الصخور، لا تؤثر عليها سوى عوامل الدهر، فأنا أنسى كل ذكرى سيئة، وكل ألم وأشخاص، وكأن العمر لفظ تلك الأحداث من جوارحه، ولم يبقَّ سوى تلك النفوس الطيبة، لكن الريح الكامنة داخلي لا تمحو؛ بل

تزيد من النقش، فإن طال العمر أو نقص فلن يزداد النقش إلا لكل ذي قلب سليم.

* * *

- منذ متى والفراق خُلِقَ لنا؟!

- عندما تركتني على ضفة الحزن تنزف آلامي دمًا.

- أبله.. الفراق قُتِل بسيف ميلادنا، فأرواحنا ولدت كتوأم متلاصق عجزت عنه جراحات الطبيب.

- وكيف للروح معنى وأجسادنا قد حكمت عليها بسجن أبدي وأنت من نفاني لتلك الضفة بلا عودة لدارك؟

وليس لأرض الأحلام ذنب أن تدنس بذنب لقائنا.

- الأحلام لا تعاقب على جرم تقابل أرواح العشاق؛ بل هي وصال لنبض قلب مشتاق.

- والواقع؟! كل منا على ضفة وكأنها تخبرنا بأنها تحمل في أحشائها ميلاد فراق جديد.

- سأجهض ذلك الميلاد.

فالدعاء قد شق جسرًا من ضفة بيتك حتى سجادة الصلاة.

أتظن أن الدعاء سيترك لجسره أن يقوض؟!

* * *

-لِمَ الْيَأس؟!

-وَلِمَ الْأَمَل؟!

-أَحَقًّا كُنَّا فِي رَحِم وَاحِد وَخُلِقْنَا مُتَمَاثِلَيْن فِي الْمَظْهَر؟!

-ليس كُل مَثِيل الْمَظْهَر مَثِيل الْجَوْهَر يَا أخي.

- صِدْقًا.

وَلَكِنَّ قَلْبكَ سيحصد مَا غرسته، وستلتهم عَيْنَاك هَذَا الْحَصَاد، أَتُرِيد الْعَتَمَة زائرك؟!

-لا أَحَد يُرِيدُهَا، وَلَكِنَّهَا ضَيْفٌ أَبَى الرَّحِيل إِلَّا برحيلي.

- وَمَنْ قَالَ إِنَّك مَا زِلْتِ على قَيْدِ الْحَيَاة؟!

الْحَيَاة لَا ينيرها وَلَا يُحْيِيهَا سوى الْأَمَل الَّذِي فَرَّق بَيَّنَّا وَبَيْنَ كُلِّ مَنْ كَانت مِلَّته غَيْرَ الإسلام.

أَلَمْ تَسْمَع قَوْله تَعَالَى: " وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ"؟

- وَلَكِنْ يَا أَخي الْحَيَاةُ لَا تُقَدِّمَ لَنَا سوى وجبات الْأَلَمَ وَالْوَجَع.

- وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ خُلِقَ الْأَمَل، فالحياة دَار ابتلاءات وَعَلَى قَدْر الْإِيمَان نُبْتَلى حتى نتطهر مِنْ ظَلَام قلوبنا.

التَّائِه فِي الصَّحْرَاء يَتَوَهَّم سَرَابَ المَاءِ بِمَا غَرَس فِي قَلْبِه، فَتَوَهَّم يَا أخي سَرَابَ الْأَمَل متسلحًا بالصبر.

-لقد قلت "تَوَهَّم"؟

فَكَيْف لِلْوَهْم أَن يقشع جذُور اليأس؟

- ليس كُل وَهم دَاء

الْخَيَال يَا أخي هُو دَوَاء لِكُلِّ عَلِيلٍ باليأس

فَبه سترسم عَالم الْأَمَل الَّذِي ستظفر بِهِ فِي جِنَانِ رَبِّكَ، وَأَنْت تُثَابُ على صَبْرك على جرعات الْأَلَم الَّتِي أذاقتها لَك دُنْيَا فانية

بِرَبِّك أَلَيْس الْأَمَل دَوَاء؟!

- لَكِنَّه يُخْلَقُ مِنْ رَحِم الآلام!

- لَيْسَ كُل دَوَاء تَشْتَهِيهِ النَّفَسُ يَا أخي، فلَا تَأمن النَّفْس الأَمَّارَة بِالسُّوء، فَهي لَا تَقبل بِالْأَمَل طبيبها.

* * *

- ما ذاك البهتان الذي يكسوك؟!

- لا شيء لم أنم جيدًا.

- الأرق يرسم هالات سوداء أسفل الجفن وليس احمرارًا للعين يجعل دموعك دمًا، وليس خسوفًا لوجهك وكأنه احتضر، وليس إعاقة للسانك ولد من رحمها البكم.

- .....

-ألن تجهضي تلك الإعاقة وتقصي عليَّ ماذا ألم بك؟!

- لمَ أنا؟!

- لمَ أنت في ماذا؟!

- لمَ لم آخذ من الدنيا سوى عتمتها، ولم تهدِني إلا الألم ولم تطعمني سوى وجبات الخذلان ولم تحتضني إلا بالحزن؟

لمَ أنا؟! ألهذه الدرجة لا يحبني الله؟! أأنا بهذا السوء؟! لمَ لا أموت أهون من جميع ذلك؟! لو كان جبلًا لتفتت إلى حبات تراب جزعًا من

الاحتمال، فكيف بي وأنا بشر؟! فقدت أمي عند ولادتي، وبعدها أبي بعشر سنوات، وأخي ها هو رحل الآن وأنا لم أهنأ بسعادة في طوال تلك الفترة، فذلك اللعين يأكل جسدي، وفي كل جرعة يزورني الموت ولكنه يأبى الضيافة.

ألا يعلم أني أنتظره وسأحسن ضيافته؟! لم يعد بجانبي أحد سواك، ولكنك ستتركيني أيضًا وترحلين مثلهم.

- لا أنكر أن ذلك ابتلاء عظيم من عند الله، ولكنني عهدتك قوية منذ الصغر، وتستقبلين تلك الشدائد بصبر وصدر رحب، لأنك تعلمين أن الدنيا ليست المقر

ألم تحفظي كتاب الله؟!

- أجل، ولكن لمَ ذلك السؤال الآن؟! أتتهربين من كلامي؟! دعيك مني سأرحل الآن.

- ليس هربًا منك، ولكنك أنت من تريدين الهرب.

- كيف؟! إن كان هربي دواء سأحتضنه.

- ألم تسمعي قوله "لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها؟"

ألم تسألي نفسك لمَ لم يرزقني الله تلك الابتلاءات عوضًا عنك؟! ألم تسمعي قوله تعالى "وللآخرة خير لك من الأولى؟"

ألا تتذكرين كلمتك لي عندما حفظ كلانا سورة الضحى؟

نظرت لي حينها بابتسامة صافية وقلتِ: سيرزقني الله عوضًا جميلًا عن تلك الشدائد، ألم تقولي إن الأجر العظيم والصبر الجليل سبيل للظفر بالجنان؟! ألم تقولي اللهم ارزقني لقياك واجمعني مع أهلي في الفردوس الأعلى عاجلًا غير آجلٍ؟! وبعد ذلك بعدة أيام أخبرنا الطبيب بأنك أصابك سرطان في العظام؟! ألم تقولي حينها الحمد لله الذي استجاب لي دعائي فاللهم عجل اللقاء؟! وها هو الآن رحل أخوك كي يجتمع الأهل وينتظروكِ، ولكن دورك في الحياة لم ينتهِ بعد...

صديقتي عاهدتك واثقة في عطاء الله من ابتلاءات وأنها نعمة أنعمها الله عليك كي يطهرك من الخطايا كيوم ولدتك أمك، فلا تجزعي الآن، أعلم أنك صبرتِ كثيرًا، ولكن لم يتبقَّ إلا القليل، أتحزنين لفراق أهلك دنيا فانية ومستقرهما في جنات عدن ينتظرانك؟! لا تجزعي فحالك هذا لن يجعلهم سعداء أبدًا...

- صدقتِ قولًا.

اللهم ليس ضعفي اعتراضًا على قدرك، ولكن غلبتني وساوس نفسي فاغفر لي وارزقني صبرًا يعجب له الصبر ذاته يا أكرم الأكرمين.

- لقد داهمنا الوقت، هيا فقد حان وقت الجرعة يا سكن الفؤاد.

- لا حرمني الله منك أبدًا كيف جهلتك وأنت نوري في كل عتمة؟! أتيتِ لي كمضغة سكنت جسدت فداوى عبيره كدمات الروح وأسكنت جراحات جسدي.

- أدامك الله لي يا رفيقة.

* * *

- أيحبني؟!

- أما زلت تعيشين على ذلك الوهم؟!

- وهل الحب وهم؟!

- الحب ليس وهمًا؛ بل ذاك الحبيب الذي تعتقدين أنك تحبينه هو الوهم.

- من قال لك ذلك؟؟

أحببته كأم أنجبت ابنها بعد سنين عجاف.

- أتلك هي مشاعرك حقًّا أم إنها مسكنات العيوب؟!

- ماذا تقصدين؟! ولمَ أنت هكذا تشكين بكل ما أتفوه به؟ ولمَ تريدين الفراق بيننا؟!

أهذه الدرجة قلبك حجر خال من المشاعر؟!

- رغم قساوة كلامك ما زلت أرى البراءة التي تضمها جفونك والنقاء الذي يضمره قلبك.

ما أقصده أنك أخطأتِ في حق ربك وذاتك وأهلك.

وما تقصدين به من شك فأنا لا أراك سوى غريقة في ظلام يدمس نور قلبك عن الحق، فمشاعرك ليست مشاعر صادقة بل مسلوبة.

فأنت تسلبينها من قلبك عنوة كي ينطقها فاهك.

فما يسلبه الحرام عنوة في كلمات لا تلامس غشاء القلب لا يجني سوى الحسرة والندامة، ولا يعرف للصدق سبيلًا، وإن افترضت أنك صادقة وأن الحب ينبع مع كل نبضة يبعث قلبك بها الحياة

إذا أصاب ذلك النبض سم، أتبقين على قيد الحياة؟!

- ما شأن السم في الحب؟!

- الحب إن كان حرامًا فهو سم يسري في جسدك فيسلب الحياة من كل عضو، وبهذا قد قتل نفسًا بغير حق، وأنت تدرين عقوبة ذلك.

لذلك السبب أردت لكما الفراق في دنيا فانية حفاظًا على كليكما من شظية نار لا تستطيعا تحملها في الدنيا، فما أدراك بنار الله الموقدة؟!

- لكن حبنا ليس كلام هباء، فكلانا يشجع الآخر على التقرب إلى الله.

- ما بني على باطل فهو باطل.

كلاكما في الأصل دون ضرورة فهو محرم، قال تعالى "وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ" فما بالك بكلام عشق لا يجني لكما سوى جبال آثام وتلتهم أعماركم! وحينها لا ينفع مال ولا بنون، ولا حبيب ولا صديق، ألم أقل لك ذلك مرارًا؟!

- قد قُلت ذلك له ولكنه قال إنه لا يستطيع العيش دوني، وإنه غير كل الرجال، فهو أرادني زوجة له، وأنه يخاف عليَّ كأخته وأنه سيحميني من أي سوء.

- وما زلت تتمسكين وتتوهمين حبه لك بعد سماع تلك الكلمات؟!

هو أرادك كنزوة عابرة له في مرحلة شبابه، هو رآك زهرة نضرة فأعجبته نضارتك، فأراد أن يقتطفها لذاته، فعندما تذبلين سيرميها كما يرمي رجل سيجارة انتهى منها.

- لا أتوقع منه ذلك، هو يضغط نفسه في العمل كي يهيئ لنا حياة سعيدة معًا، حتى إنه وجد عملًا آخر ليتعجل الإتيان إلى بيتي.

- أريد أن أسألك شيئًا؟!

- ما هو؟!

- إن كنت متأكدة من حبه لك فلمَ سألتِني ذاك السؤال في البداية؟!

- لا أعلم!

- أنت تعلمين، فهو أهمل مهاتفتك بحجة يرتضيها قلبك، ألا وهي العمل، وازدادت بينكما المشاجرات بسبب صداقتك معي، بدليل أنك تحاولين بقدر الإمكان ألا يرانا معًا، هو من ملأ عقلك بتلك الكلمات القاسية تجاهي أليس كذلك؟!

-.....

- لا تنكسي رأسك هكذا، أنت أختي قبل أن تكوني صديقتي، وأشهد الله أن ما قلته وأقوله ما هو إلا خوفًا عليك وحبًّا لك ومخافة أن ينقض بأنيابه عليك فيما بعد.

ذلك الحب الحرام ما هو إلا مرض إن تفشى فيك قبل مداواته بالتوبة سيقتلك، وحينها سيكون فات الأوان.

* * *

صوت بكاء يلين له الصخر من شدته، وكأنه ينعي رحيل عزيز له قد فارقت بينهم الحياة.....

عندما أسرعت الخطا لأتبين مصدر هذا الألم وجدت أحد الشباب منكس الرأس جالسًا القرفصاء وسط حلة من زجاجات من الخمر الفارغة

صدمت لوهلة من ذاك المنظر ولكن بكاءه أذابها عني.

وأيقنت أنه لا ينعي سوى نفسه التي فارقته منذ سنوات وأقحمته في وحل الذنوب....

اقتربت منه رويدًا رويدًا ووضعت يدي على يديه وكأني أخبره أنه ليس وحيدًا.

وكأنه كان ينتظر قدوم قافلة العزيز فألقى بذاته داخل جوفي فهدأ بكاؤه شيئًا فشيئًا.

- لماذا تكرهون العصاة؟! أأنتم ملائكة بعثها الله في الأرض وعصمكم من الأخطاء؟!

لماذا تحتقرون العصاة وكأنهم ليسوا بشرًا يخطئون؟! لماذا أنتم أعوان الشيطان على كل عاص وتلقونه بأيديكم إلى التهلكة؟!

- من قال لك ذلك؟!

جميعنا بشر، وجميعنا سواء، ولا يوجد أحد منا معصوم من الخطأ نحن فقط نكره المعصية لا العاصي.

- كذب هذا كذب.

أنتم ترددون ذلك كثيرًا، ولكن الحقيقة تنافي ذلك.

وإن كان حقًّا ما تقول، فلماذا نزعتم مني حق دخول بيت الله؟!

أستقول أنني لست على طهارة؟!

ولكنني جئت على موعد لملاقاة شيخ كي أتلقى منه خطوات التوبة، ولكن عندما رآني قال: يا ويحك أتتظاهر بالالتزام وأنت في جوفك شيطان؟!

ونظر لي باستحقار وكأن ليست التوبة حقًّا لي!

وكما ترى لا أعلم ماذا أفعل سوى النحيب على العمر الذي، وجهنم التي ستنادي هل من مزيد.

آلله غاضب مني ولن يكتب لي توبة قبل الممات؟!

ألن يغفر الله لي تلك الآثام؟!

آلله طردني من رحمته وطردني من بيته ونزع حب الناس لي؟!

أعصمكم الله من الخطأ وانفكت العصمة عندي؟!

أم ماذا؟! ألن أرجع إلى الله ثانية؟! أأصبحت النار مأواي لا مفر؟!

لم أستطع التحامل أكثر فأجهشت في البكاء واشتد احتضاني له ولم أقل سوى آيات الله لترد إليه بصره وتبيض عينه وسمعه وقلبه عما زينه له الشيطان

- "إِنَّ الله لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا"

"قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا علىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ الله إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"

"إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا"

تلك الآيات ستجيب عمَّا يحيرك فلا تيأس، فإن الله غفور رحيم، فإنه كما تقول كثير من الصحابة كانوا أعداء الله، ولكن الله أزال الغشاوة عن قلوبهم وألبسهم رداء الإسلاء وعفا الله عنهم وتجاوز عن سيئاتهم.

أترى ذنبًا أعظم من الشرك؟!

أخذت بيديه ونهضنا سويًّا، فليس هو فقط من يريد التوبة، فجميعنا يلزمنا التغيير والتجديد والعودة إلى الله...

فلا تستحقرن عاصيًا، فلا أحد قد أمن مكر الله فتدور الدائرة ويصبح العاصي داعيًا والداعي مرض بذنب أخيه.

كما قال ابن القيم: لا تشمت بذنب أخيك فيطهره الله ويبتليك.

فلا تستعظمن التوبة على عاصٍ فالذي يحيي العظام وهي رميم سيحيي قلبًا أصبح من الذنوب هشيمًا.

* * *

- إلى أين أنت ذاهبة؟!

- إلى العالم الآخر

- أهو بعيد؟!

- هو القريب والبعيد في آن واحد

- كيف؟!

- بعيد عن مساوئ ذلك العالم، قريب يسكن القلب.

- وما هو ذلك العالم؟!

- العالم الآخر هو الذي يذيب قساوة القلب التي كونها العالم الذي نحن به الآن، العالم الآخر هو الذي لا يزوره حاقد ولا شامت، العالم الآخر هو الذي يداوي جراحك التي تنزف.

العالم الآخر هو الذي تفرين إليه هاربة ليزيل عنك الخوف، العالم الآخر هو المأوى لنا عندما نصبح أيتامًا بعد فقدان الحب والأمان ممن حولنا.

- وما العالم الآخر؟! أهو مكان؟!

- ليس شيئًا بعينه.

قد يكون مكانًا أو إنسانًا أو عالمًا من الخيال ينسجه عقلك.

- وما هو عالمك الآخر؟!

- كان شخصًا ولكنه ألقاني في غيابات الجب، وكان أيضًا مكانًا ولكنه ضاق بي حتى اختنقت

فأيقنت حينها أن عالم الخيال هو العالم الآخر الذي لا غدر ولا حقد ولا يحمل مساوئ الواقع.

* * *

- ما بك يا صغيري؟!

- أي صغير هذا يا جدتي؟! الحياة أضافت إلى عمري أعوامًا من الآلام والأسقام فأصبحت ابن العقد الخامس.

- ألحقتها بياء المتكلم لأن عيني ما زالت تراك وأنت في المهد وأنت تحبو وترى البراءة التي تشع من عينيك، وقلبي ما زال يهفو لاحتضانك ليتنفس عطرك، ويدي ما زالت تتذكر أناملك الصغيرة، وباطن قدمك المنعم مهما كبرت فأنت صغيري ومهما كان عمرك فأنت منذ ميلادك وأنت صلب البنية حازم العقل لم ولن تراك الدنيا صغيرًا أبدًا فالرجل رجل منذ ميلاده، لذلك لا تجعل الهموم تزيد من عمرك، بل اجعلها تزيد من صبرك وحذرك وأن تجعلها دروسًا وعبرًا.

– وما زالت الحياة تحلو في عينيَّ برؤياك وكلمتك، ولكن المرار يزداد، فالصدمات تتوالى ولا حصر لها، أبكي على عمر ولى في لهو، وصديق كان إبليس داخله ولم يكن قلبي له سوى المحبة، أضحك سخرية على قلبي الذي ظن أن الجميع يحبه ويتمنون الخير له كما تمناه لهم، أبكي على سذاجتي فأنا لم أستطع أن أقسو عليهم مقدار ذرَّة، رغم جرعات الألم التي تناولتها صباحًا ومساء، عشية وغدوة.

بربك يا جدتي كيف يعيش هؤلاء؟! ولمَ الدنيا هكذا؟! ولمَ الفرح متشرد عن مأواه، أليست قلوبنا خير مأوى له؟!

لمَ الخير بتره الحقد من قلوبنا؟! ألسنا مسلمين ورسولنا الكريم ﷺ قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"؟! لمَ يا جدتي كل ذلك؟! لمَ أصبحنا نشمت في مصائب نزلت جوارنا؟! أنأمن عدم نزولها ضيفًا عندنا؟! لمَ الجار أصبح يقسو على جاره وينتظر الشرارة التي تشعل فتيل الغضب داخله فيحرق قلب جاره؟!

– هون عليك يا صغيري، الحياة زائلة، والأعمال مدونة في صحيفة كل بشر لا يخفى على الله منها شيء.

الدنيا انقسم الناس بداخلها إلى فئتين: فئة ظالمة وفئة مظلومة، فاسأل الله النجاة من الفئة الأولى فهي الهالكة، واسأله أن يكرمك بالفئة الثانية فهي الناجية، بدعاء يشق السماء ويرد الحقوق، ولا تستعجل الإجابة فلعل الخير أن تجاب لك يوم المحشر عندما يجتمع الخصوم وتذكر "وما ربك بظلام للعبيد" وما يخص الذين سقطت الأقنعة عن وجوههم وظهر الكره الذي يكنوه لك "اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله، فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله"

فقلوبهم مكتوية بمرض لعين يأثمون عليه، أما قلبك فمكتوٍ من الألم والحزن، تثاب عليه، فربك الكريم قال في كتابه العزيز "وبشر الصابرين" فلا تجعل بغضهم لك وأفعالهم التي تؤلمك تنتشلك إلى فئتهم، تمسك بنقاء قلبك وكحل عينيك بالخشية، وورد شفتيك بالابتسام إلى أن تلقى الله.

* * *

اسْتَلْقَتْ على سَرِيرُهَا سابِحَة بفكرها فِي سَمَاء غُرْفَتِهَا تُحَدِثُ نَفْسهَا - يَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ كَاتِبًا.

- أَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ أمنيتك؟!

- ياليتها انزوت فِي كنف الأمنيات الَّتِي كَان الْخَيْر ألَّا تَتَحَقَّق.

- أَتَخَافِين أَن يفوقك؟!

- لَا أَحَدَ يَخَاف مِنْ نَفْسِهِ أَنْ تتألق، بَل أَغَار.

- أتغارين؟!

- نَعَم. أَغَار مِن تِلْكَ الْحُرُوفِ الَّتِي رَسْمهَا حُبًّا خَشْيَة أَنْ تَكُونَ لغيري.

تَمْنِيَتَه كَاتِبًا كَي تُنْسَج حُرُوفَه لألحان يعزفها الْحُبُّ الَّذِي يَخْتَلِج صُدُورَنَا، فتتعالى نبضات قلبينا معلنة أَنَّنَا أَصْبَحْنَا غريقين فِي بَحْر الْحُبْ.

وَلَكِن الْآن لَا أَعْلَمُ لِمَنْ يَكْتُبُ الْغَيْرَة أَقْوَى مِنْ الْحُبِّ

فَإِنْ كَانَ الْحُبُّ نَسَمَة بَرْد، فَالْغَيْرَة نَار مُوقَدَة

وَإِنْ كَانَ الْحُبُّ يُسْعِد الْجَوَارِح، فَالْغَيْرَة تَأْكُلُهَا جَمِيعًا بِمَا فِيهِمْ الْقَلْب

فيا ليته يَفْقد حُرُوفه وَلَا يَجِدُهَا إلَّا فِي حَضْرَتِي

ويا ليت الْخَلْق يَفْقِدُون بَصَرهُم عَنْه ويفقدون النُّطْق كَي لَا يَتَرَدَّدَ اسْمُه سوى على شفتيَّ، وَيُصَمُّون عَن صَوْتَه فَلَا يَسْمَع شَجْنَه وَصَوْته الْعَذْب إلَّاي.

يَا لَيْتَ الْجَمِيع يَرَوْنَه قَبِيحًا، وَلَا يرى جَمَالِه سُوْاي

فَبِذَلِك ستنطفئ نَار الْغَيْرَة، وَيَبْقَى دفؤها الَّذِي يُزَيِّن الْحُبْ.

* * *

- اخلعي من عقلك تلك الأفكار الركيكة.

- هل تعلم الرماية أصبحت أمرً ركيكًا؟!

- ليست الرماية أمرًا ركيكًا، أقصد فكرك أنت لتعلمها فكر ركيك، الرماية لنا نحن الفتيان ليس أنتم الفتيات.

- من أنت كي تقسم التعلم واجب لمن وحرام لمن؟!

ألم تسمع ذلك القول "علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل"؟!

- بلى، سمعت ولكن ما شأنكم أنتن في ذلك؟!

ذكر في القول ولدًا وليس بنتًا.

- ألا تعلم أن لفظ ولد يعني كل ما ولد "ذكرًا كان أو أنثى"؟!

دع عنك كل ما سبق

أتتذكر موقعة عين جالوت؟!.

- من منا لا يعرف تلك المعركة التي كان شأن الإسلام يتركز على ناتجها، أيندثر الإسلام بالهزيمة أم يصان ويخلد بالانتصار،

ولكن الإسلام خالد وباق إلى يوم الدين فجعل الله النصر حليفًا لنا، ولكن ما شأن المعركة فيما كنا نتحدث عنه؟!

أم إنك تقصدين جلنار وإنقاذها لقطز؟!

- نعم هذا ما أقصده تمامًا.

تعلمت الفروسية وتعلمت الرماية فكان ذلك بمثابة النور الذي أضاء قلوب المسلمين ورد بصرهم بعد أن ابيض من اليأس.

وكان ذلك النجاة لقطز من يد العدو، فجميعنا نعلم أن الانتصار ببقاء القائد على قيد الحياة، وها هي قد ضحت بروحها فداء للإسلام.

- معك حق، ولكن ما رأيك إن كان إعلاء راية الإسلام هو هدفك الأسمى

لمَ أبصرت عيناك تعلم جلنار الرماية ولم تبصري تعلمها أمور دينها؟!

هناك أوليات في الحياة، فلا تجعل الفرعيات تقتل الأساسيات والركائز، فما سقط بناء إلا بأعمدة هشة

قلبك ثم قلبك ثم قلبك ثم عقلك.

فإن أصلحت قلبك صلاحًا يرتضيه الله وبنيت عقلك بناء يصون أسرة وينشئ جيلًا حاملًا لكتاب الله، مقتديًا برسوله وأمهات المؤمنين، كان ذلك خير من الرماية وما فيها.

- أصبت قولًا، ولكن ليس التفكير في الرماية أمر ركيك، أتسمع ذلك؟!

- أجل أسمع، ومعك في تعلمها، ولكن ليس لها أهمية في وقتنا الحاضر

الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "أنتم أعلم بأمور دنياكم".

ودنيانا الآن أصبحت جمرًا على كل مؤمن يريد الإصلاح، فالأولى الآن بناء جيل يتمتع بالأخلاق وقلوب تمتلئ بالتقوى، فقد باتت تلك الأمور نادرة الوجود في هذا الزمان.

لمَ تنظرين أرضًا هكذا؟!

- لقد أصبت قولًا للمرة الثانية

فلا أجد ما أقوله أمامك، لقد انخلع قلبي وعقلي في حضرتك حبًّا.

* * *

هي: دعك من ذاك العالم لا تستسلم لتلك القيود التي تكبل قلبك وتأسر عقلك، فلا يهنئك بنجاح فيصبح النجاح والفشل معنًى واحدًا.

هو: بل أنت التي يجب أن تدع تلك البراءة وكأن العالم روضة لك وأنت طفلة تعيشين فيها، حتى لا ينكسر جناح قلبك فيسقط أرضًا يدهسه كل طاغ.

هي: لمَ ذلك الفكر؟ لمَ شاب عقلك قبل الأوان؟ أجعلت نفسك ضحية؟! أأصبح النقاء داء في هذا الزمن!!؟ أم إن الزمان أصبح خبيثًا لا دواء له؟!

هو: لم أشِب بمحض إرادتي، ولكن العالم أشاب القلب والعقل، فأصبح الجميع أبناء العقد السادس، فمن أنا كي أنجو؟!

أنت محقة، الحياة لا تحلو إلا بحلاوة القلب والعقل، ولكن أخشى عليك ظلم العالم، أنا على أتم الاستعداد أن أهديك روحًا، لكن لا أريد

أن أهديك قلبًا وعقلًا؛ لأني سأصير جانيًا قد جنيت عليك باغتصاب شباب قلبك وعقلك.

هي: لا تمدن يديك وهيا ارحل، لا أريدك، ولا تجعل شفتيك تتزين بأربعة أحرف كنت تهديها إليَّ، فكيف أصدقها وقلبك وعقلك لا حياة فيهما، بل أصابهما الكبر، فكيف لهما أن ينجبا حبًّا يروي حياتك وحياتي؟ ارحل، لا أريدك، كيف آمن على حياتي معك وأنت قد قذفت نفسك أسيرًا في ظلمة العالم وضحيت بحياتك، فكما ضحيت بذاتك ستضحي بي عاجلًا غير آجلٍ.

هو: سأمد يدي إليك، وهيا مدي يدك إليَّ سآخذك من هذا العالم إلى عالم نصنعه سويًّا، عالم أساسه رضا الله، وعماده حب ومودة مغروسة في فؤادنا، وسقفه احترام لأسرارنا، وفرشه النقاء والسلام وحصن البيت قرآن يتلى آناء الليل وأطراف النهار، هيا مدي يديك من الآن سأصير غير ما مضى سأرد الشباب والحياة للقلب والعقل من رزق سيدنا زكريا بالولد عند الكبر وامرأته عاقر، قادر أن يجعلنا بذرة الخير في ذلك العالم يرويها جهادنا وحبنا وثمرتها أبناؤنا نجعلهم نورًا ينير ظلمات العالم

وسيفًا يقطع القيود والأغلال فيرد للجميع بصيرته، مدي يديك هيا يا فتاتي.

هي: أنت حقًّا قلت كل ما سبق، أنا لا أحلم أليس كذلك؟!

هو: أنت لا تحلمين، مدي يديك وستتيقنين أن الله على كل شيء قدير يقلب القلب في غمضة عين.

* * *

- أيعاقب المرء على جرم ظالمه؟!

- كيف؟!

- يخطئ شخص ويعاقب آخر، أليس هذا الظلم بعينه؟!

عندما نقول يخطئ القلب لحظة فيعاقبه العقل سنين، وذلك لأنهما كيان واحد في بدن واحد، أما أنا لا أمتزج مع الآخر ولا يربطنا كيان جسدي، قد يربطنا كيان روحي سواء قرابة أو صداقة أو وطن أو ما شابه.

أي دين أو أي عدل ذاك الذي يفعل ذلك؟!

- ليس دينًا وليس عدلًا فالدين كيان يشمل الجميع تحت كنفه، ولكن أحيانًا يعوقه بشري فينفر تلك اليد التي امتدت لتضمه في كنفها، أليس هناك أب رزقه الله بالكثير من البنين والبنات، يعوقه أحدهم أو إحداهن؟! أيعاقب جميع الأبناء بالعقوق؟!

الدين بريء من أي خطأ، فالدين قواعد راسخة وأسس مرفوعة أبد الدهر شامخة، ولكن نحن من نخطئ ونحن من نظلم.

رب قد حرم على نفسه الظلم، أيجعل كلامه الذي هو عقيدة ونهج به كلمة تظلم أحدًا؟! أو تأكل حقًّا؟! أو تسيء لاسم أو لشخص؟!

الأحق بالقول هو أننا جميعًا إلا من رحم ربي نفرنا تلك اليد فأصابتنا جميعًا لعنة العقوق، فأصبحنا نحلل ما حرم الله وأصبحنا ننتهك الأعراض وأصبحنا نطلق الأبصار إلى ما حرم الله، أصبح البهتان لقمة نستسيغها، والكذب حلوى نزين بها الثغر، والحقد والكره والرياء مصلًا لقلوبنا كي يطرد منه أي صفة حميدة، وكأنها ميكروب نخشى الإصابة به كي لا تدهسنا أقدام الظلم.

وأصبحنا نعامل الإساءة بالإساءة حينًا، وبالأضعاف حينًا آخر.

فأصبحت القلة القليلة التي برت نفسها وأطاعت ربها وتمسكت بتلك اليد، وتشبثت بذاك الكنف هم الذين نرمي عليهم نواتج ظلمنا وأفعالنا، ظنًّا منا أنهم هم الركن الضعيف ونحن الركن القوي والسائد، ولكن الأحق والأصدق قيلًا أنهم هم الركن الرشيد، هم الركن الذي سيقال له وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد.

فلا تحزن كونك مظلومًا فالله قال "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد"

سيظل يعاقب المظلوم بجرم ظالمه ما دمنا في دنيا أهلها همهم الأقوى بطون تمتلئ بالطعام لا يعنيهم أحرام أم حلال؟!

* * *

- أتحبها؟!

- لا بل أدمنت وجودها.

- إذن تحبها.

- لا، لكن الابتسامة التي تشرق من ثغرها تجعل الأحزان المخلدة تغرب بلا شروق.

- بمَ تشعر عند لقياها؟!

- أشعر أن عصافير القلب تزقزق فرحة، والجسد كالطير لا أرض تحته بل سماء يحلق فيها، لكن لا أنظر إليها، الجوارح كلها غضت البصر امتثالًا لأمر الله، إلا القلب تمرد وسقط في الذنب.

- كل ذلك ولا تحبها؟!

- أنا لا أحبها أنا أحياها

الحب لها لا شيء، الحب لها شيء ضئيل للغاية.

- ماذا ستفعل إذن؟!

- ما يجب فعله.

- وما هو؟!

- سيغض البصر عينه عنها، ولن يراها إلا عندما يجيب الله الدعاء وألقاها مع أبيها وأنا أطلبها منه، لن أتحدث معها؛ بل سأحدث الله عنها بكل ما يجول في القلب والخاطر، وأستودع عند الله الحب ليباركه ويصير أضعافًا في الحلال، لن أخدش براءتها، ولن أقطف حياءها، ولن أدهس

ثقة الأهل فيها، ولن أدنس علاقتها مع الله، هي لؤلؤة سأحافظ عليها من الذات قبل الغير، نورها الذي يضاء مع خطواتها، الصبر سيصون ذلك البريق، لذلك أنا والصبر سنصير أصدقاء، والقلب سيصبح رمضانيًّا يصوم عن الاعتراف إلى أن يرتفع أذان المغرب باللقاء.

❋ ❋ ❋

نهاية لكل حرف حزين

يا أحزان القلب وداعًا، فسرايا الفرح آتية للمكوث في أراضيها، فأنت المحتل وقد آن للغريب أن يرتحل.

وأنت يا دموع العين لا أهلًا بك ولا سهلًا، فالمقلتين لن يستضيفانك إلا إن كنت سبيل أفراح لا أتراح.

*فلا سلام يا أحزان، ولا هناء يا دموع *

❋ ❋ ❋